

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف-المسيلة-

ميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: أدب عربي

التخصص: نقد حديث



كلية الآداب و اللغات

القسم: اللغة و الأدب العربي

رقم : L :15/510

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

إعداد الطالب (ة) : مراد معروف

تحت عنوان :

الرؤية النقدية عند طه حسين

كتاب في الشعر الجاهلي

تاريخ المناقشة: 2017/05/24

لجنة المناقشة:

رئيسا

جامعة : المسيلة

د/ سعدون محمد

مشرفا

جامعة : المسيلة

د/ فتحي بوخالفة

مناقشا

جامعة : المسيلة

أ/ خالد شبلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

مقدمة:

بحثي هذا عبارة عن دراسة لظاهرة أدبية شغلت أذهان الكثير من الأدباء والعرب، والتي تتمثل في ظاهرة النقد الأدبي التي اهتمت بأعمال الأدباء والشعراء وقد ظهرت فيها اتجاهات ومذاهب مختلفة ومتعددة، كما برز فيها أعلام ورواد كثيرون، ولا شك أن أحد وجوه الحركة النقدية هو الدكتور عميد الأدب العربي طه حسين الذي أبدى اهتماما كبيرا بالنقد.

ولقد ركزت في بحثي هذا على العملية النقدية عنده، واعتمدت على كتاب في الشعر الجاهلي، يساعدني على الوقوف على أهم القضايا النقدية التي عالجها طه حسين، وهي ظاهرة الانتحال.

ويعد هذا الكتاب أحد البحوث الرائدة في تاريخ الأدب العربي، وهو عبارة عن خلاصة محاضرات ألقاها على طلابه كان الهدف منها تبيان أن الأدب القديم كله صالح لأن يخضع للمناهج العلمية الحديثة، وأن باب الاجتهاد في فهم النصوص القديمة لم يغلق، أما هدفه الرئيسي من خلال هذه الدراسة لتي يسعى إليها هي الشك في قيمة الأدب الجاهلي وحقيقته.

وبسبب اختياري لهذا الموضوع هو راجع إلى لأهمية ما كتبه طه حسين في هذا المجال حيث لفت انتباهي بأرائه النقدية التي كان لها صدى كبير في الساحة الأدبية وأخص بالذكر قضية الانتحال وشكه في قيمة الأدب الجاهلي، فحاولت قدر الإمكان حصر أبعاد هذه الرؤية النقدية.

إن دراستي لهذا الكتاب اعترضت طريقي جملة من العراقيل والصعوبات على رأسها قلة تجربتنا في هذا الميدان، وعدم وجود عناوين في الكتاب إلا نادرا مما يقحمني في متاهة تجبرني على وضع عنوان أثناء الدراسة والتحليل في بعض الأحيان، واعتماد طه حسين على منهجية ومعارف لها علاقة بالفلسفة والمنطق مما يستدعي الإصلاح والبحث أكثر.

وأثناء دراستي لهذا الموضوع اعتمدت على المنهج التحليلي لأنه يلاءم هذه الدراسة التي تقوم على تحليل الكتاب، واتبعت خطة ساعدتني على هذه الدراسة والتي تتألف من مقدمة وفصلين وخاتمة وأتبعها بمصادر ومراجع.

فالمقدمة اشتملت على التعريف الكامل بالبحث بما فيه من إشكاليات تتعلق بالبحث والموضوع والمنهج.

أما الفصل الأول فتعرضنا فيه إلى الجانب النظري فحمل عنوان التنظيم النقدي عند طه حسين فالمبحث الأول نظرة طه حسين لنقد النقاد وكذا تطرقت في المبحث ثاني إلى أصول النقد الأدبي التي وضعها واعتمدها في دراسته الأدبية أما المبحث الثالث حمل عنوان منهج طه حسين في النقد والدراسة الأدبية

أما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة كتاب في الشعر الجاهلي يحمل عنوان: أهم القضايا التي عالجها طه حسين كتاب في الشعر الجاهلي أنموذجا وينطوي تحت مبحثين الأول كان بعنوان وصف المدونة شكلا ومضمونا، درست فيه سيميائية الغلاف الخارجي، والمدونة من الداخل وكذا خطة الكتاب.

أما الثاني عنوانه أهم القضايا التي عالجها طه حسين في كتاب في الشعر الجاهلي درست فيه قضية الانتحال في الشعر الجاهلي من خلال تبيان تعريف طه حسين للانتحال وأسبابه وذكر بعض الشعراء الذين شك طه حسين في شعرهم.

أما الخاتمة فقد احتوت على حوصلة عامة لبعض النتائج التي وصلت إليها من خلال هذا البحث.

وفي الأخير أشكر جزيل الشكر الأستاذ الفاضل الدكتور بوخالفة فتحي الذي ساعدني كثيرا وبفضل ملاحظاته تجاوزت الصعوبات التي اعترضتني خلال البحث كما لا يسعني إلا

أنوه إلى أعضاء اللجنة الموقرة الذين عملوا على قراءة المدونة وأرجوا أن يستفيد الطلاب وأكون قد أثريت المكتبة الجامعية بهذا البحث.

المدخل: النقد في

عصر النهضة

نشأة النقد العربي الحديث.

(1) مدرسة الأحياء.

(2) مدرسة أبولو.

(3) مدرسة الديوان.

تمهيد:

النقد في عصر النهضة:

نشأة النقد العربي الحديث:

استمد النقد العربي الحديث حياته من واقع الحياة العربية الحديثة، والبحث الذي بدأ جذب أوصال الفكر والأدب من القرن التاسع عشر.

وقد اتجهت النهضة الفكرية وجهات ثلاث: الدعوة العربية والدعوة الإسلامية والدعوة الأوروبية، وكل تصيب الأدب من هذه الدعوات الثلاث تصيب غيره من جوانب الفكر والفن.¹

فالأتجاه الأول دعا إلى بعث الأدب العربي القديم والاستعانة بروائعه لبناء النهضة الأدبية الحديثة فاستعان الشعراء بما نظم أبو نواس، وأبو تمام والبحتري والمتنبي، وغيرهم من فحول الشعراء وحاولوا تقليدهم أولاً ثم معارضتهم، ومحاولة التفوق عليهم بما اكتسبوه من إمكانيات لم تكن لسابقيهم، وهكذا خرج البارودي وأتباعه وحاول النقد أن يلحق بهذه الحركة الجديدة فيرعاها ويؤيدها، مبينا ما ظهر في محاولات البارودي من توفيق، وقد كان قد كان حسين الناقد الذي أبرز أهمية هذا الدور الجديد للنقد، فقد استعان في كتابه الوسيلة الأدبية بأصول النقد الأدبي العربي القديم.

واتخذ الاتجاه الثاني أي الاتجاه الأخلاقي سبيله إلى النقد عن طريق توجيه الشعر نحو المبادئ الإسلامية ومطالبة الكتاب والشعراء بإحياء تلك المبادئ والسير عليها وعدم الخروج عنها، يقول الدكتور محمد زغلول سلام في هذا الصدد "وكان الاتجاه الإسلامي ينحو أحيانا ناحية المحافظة والجهود ويخرج أحيانا أخرى عن عقال الجهود منطلقا مجددا

¹ محمد زغلول سلام: النقد الحديث أصوله واتجاهاته رواده، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د/ت، ص 157.

مستعينا بالفكر الحديث، متطورا مع مقتضيات العصر، مرفقا بين الدين والحضارة الجديدة قدر الإمكان."

وكان الاتجاه الأخلاقي باردا في بعض الحركات الفكرية والاجتماعية التي ثارت في أواخر القرن الماضي ومطلع القرن الحالي كالصراع القائم بين الإسلام والحضارة الجديدة.

أما الاتجاه الثالث ألا وهو الاتجاه الأوروبي فقد بدت دلائله واضحة على الأدب والنقد في كتابات الكثير الذين تتقفوا ثقافة غربية، فتحمسوا بشكل واضح لهذه الدعوة، فدعوا إلى الأخذ بأسباب التطور التي توجد في أدب الغرب، والتنازل عن بعض السمات والملامح التي تطبع الأدب العربي، وتمنعه من السير في طريق التطور.

وقد أثرت هذه الاتجاهات الثلاثة في النقد العربي وقضايا منذ نشأته، ولا تزال آثارها إلى يومنا هذا.

كانت الحركة النقدية في نشأتها الأولى تحذو حذو النقد القديم، لكن عملية التدوق قد تغيرت بعض الشيء، بسبب تأثير الحياة الجديد التي تختلف كلية عن الحياة التي صورها الشعر العربي القديم، من هنا كانت الانطلاقة الذوقية وليدة هذا التغيير الذي أرساه العائدون من أوروبا والمتأثرون بالجاليات الأجنبية التي ابتدأت تفر إلى الأوطان العربية كمصر مثلا.

وإذا كان "المرصقي" قد مثل حركة الإحياء، فإن "المويحلي" في نقده لديوان "شوقي" بين نوعية نقد هذه المرحلة والذي أنصب على اللغويات وعلى معاني الكلمات مع ذكر العيوب، فمثلا يقول عن بيت "شوقي":

خدعوها بقولهم حسناء *** والغواني بغرهن الثناء

"بأن لفظة "خدعوها" يفهم منها أن المشبه بها غير حسناء، لأن الخداع لا يكون إلا بالحقيقة، وإذا أردت أن تخدع الشوهاء فقل لها -حسنا- وإن هذا المعنى ينافي في قول "شوقي" في البيت الموالي:

ما تراها تتاست اسمي لما *** كثر في غرامها الأسماء.¹

كما نقد كذلك المويلحي شوقي في قوله:

والحضور واهنة *** بالبنان تتجذب

سالت الأكف بها *** فهي أغصن نهب

لأنه جمع غصن من أغصن، لا يجمع في اللغة إلا غصون وغصنة وأغصان، لذلك جاء نقده هنا نقدا لغويا.²

إن بذور الجديد ابتدأت تزدهر وتثبت بحيث يسهل على الباحث أن يرى زهورها تنبت بقوة، ليس معنى هذا أن النظرة النقدية القديمة قد انتهت، بل إن هناك صراع بين قديم يريد المحافظة وجديد يريد أن يسود، ولكن مع مرور الزمن ينتصر الجديد تدريجيا وهذا ما حدث بالفعل.

هناك من الشعراء من دعا إلى نبذ القديم ومسايرة الشعر للحياة الجديدة، فنجد حافظ إبراهيم يدعم هذه الدعوة من خلال قوله:

قد أدانوك بين أنس وكأس *** وغرام وطيبة أو غزال

وتسبب ومدحة وهجاء *** ورثاء وفتنة وضلال

¹ كمال نشأت: النقد الأدبي الحديث في مصر، المنظمة العربية للتربية والعلوم، بغداد، 1983، ص17.

² المرجع نفسه، ص18.

حملوك الغناء من حب ليلي *** وسليمي ووقفة الأطلال

فارفع هذا الكمائم عنا *** ودعونا نشم ريح الشمال¹

ويمكن تلخيص المواقف النقدية في هذه الفترة في نقاط أهمها:

- 1- بعث حركة المقايي النقدية القديمة وقدمتها في صورة عصرية جذابة ألهمت الدارسين والعاملين في حق النقد الأبي.
- 2- حررت الدراسة الأدبية من قيود الحواشي ومحصت النصوص ووثقتها.
- 3- أثارت الكثير من القضايا العامة وحاولت تدريب الحس الأدبي والتطلع إلى تجديد النقد والدراسة الأدبية.

وحينما أفتحت الجامعة الأهلية المصرية عام 1908م، ودرس فيها عدد من المستشرقين، وتتلذذ على أيديهم أمثال طه حسين، تحققت نقلة والسعة في حياة النقد الأدبي، فقد استمع الطلبة إلى المحاضرين المستشرقين وهم يعرضون ألوانا من دراسة الأدب ونقده جديدة عليهم، تخالف في كثير من أسسها ما عرفوه من نقد بلاغي الذي درسوه في الأزهر.

ومثلما وقف رفاة الطهطاوي أمام مظاهر الحضارة الغربية مندهشا، مقارنا بين ما عرفه في بيئته الشرقية المتخلفة، وما اطلع عليه في البيئة الغربية، وقف طه حسين كذلك مقارنا بين ما يسمعه من هؤلاء الأساتذة الأجانب، وما كان يسمعه من شيوخ الأزهر فقد كان شديد الإعجاب بالمستشرق الإيطالي "....." واعتمد على آرائه النقدية في الكثير من إنتاجه الأدبي ولاسيما النقدية منها، كما استفاد أيضا من المناهج الغربية وتأثيرها.

والملاحظ أن كثر دعاة نبذ القديم والتقليد والدعوة إلى الجديد بعدما أحس الأدباء والمتفقون أن حياتهم الجديدة بحاجة إلى أدب يكون على صلة دائمة بالعصر، وهذه الدعوة

¹ كمال نشأت: النقد الأدبي الحديث في مصر، ص 21.

أدت إلى تشكل حركة نقدية تسعى للرقى، وتدعوا إلى التأثر بالآداب الأجنبية، وإلى مساير العصر.

ويؤكد هذه الحالة الجديدة شاعرا مجددا مثل خليل مطران، ولعل أثر هذه الحالة هو الذي دفع هذا الشاعر إلى أن يترجم بعض الشعر الغربي، والترجمة في هذا المجال ذات أثر تغيير الأذواق والمفاهيم الأدبية، خاصة إذا تبعت بعملية نقدية تبين خصائص وميزات الشعر المترجم، ومن بين القصائد التي ترجمها الشاعر خليل مطران قصيدة الشاعر الإيطالي "مارتيني" وعنوانها "المساء والمدينة" التي نالت شهرة كبيرة.

وإلى جانب مطران هناك من يترجم ألوانا من الشعر الغربي، بل هناك معارك قلمية حول الشعر العربي والشعر الأوروبي والفروق التي توجد بينهما.

أخذ مطران مواضيعه من الحياة العصرية، وإن كان قد استهلك شاعريته في مجالات التهنية والثناء وما شابه....، وبذلك كان دور مطران دور الرائد صاحب الأثر العميق في تطور الحركة الشعرية بما قدم من نماذج شعرية فيها روح العصر، وبما أضاف من قصص شعرية وهو عبر هذا كله نشر آرائه النقدية الجديدة.¹

وهناك ناقد آخر لعب دورا هاما في الحركة الثقافية والنقدية وهو الدكتور محمد حسين هيكل الذي بدأ قصاصا، ثم اتجه بعد ذلك إلى النقد والسياسة وقد درس في فرنسا وعمل التدريس والصحافة مثل طه حسين، ولقد كان عمل هذه المدرسة التي مثلها طه حسين وهيكل، والتي نمت مواهبها في حقل الثقافة الفرنسية، أنها جمعت الآراء النقدية الجديدة التي تلاطمت في البيئة الأدبية أواخر القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين، وقد كان عملهم الأكبر هو الدعوة إلى نقد جديد بالنسبة للبيئة الأدبية العربية، فنلاحظ أن النقاد الذين ساعدوا على الخروج إلى نوع جديد من النقد يواكب التطور الذي طرأ على الحياة

¹ كمال نشأت: النقد الأدبي الحديث في مصر، ص 27.

الاجتماعية والأدبية، وانتموا إلى ثقافتين أوروبيتين، إذ كان من أبرز النقاد في السنوات الأولى من القرن العشرين، اللذين انتميا إلى الثقافة الفرنسية وتأثرا بمدرستي "سانت بيف" و"تين".

كما برزت في الساحة الأدبية مدارس نقدية هي مدرسة الأحياء خلال أو أواخر القرن العشرين وكذا مدرسة الديوان التي حققت وجودا رسميا بإصدارها كتاب "الديوان" عام "1921م، وهي تنتمي إلى الثقافة الإنجليزية، وقد تأثرت بالناقد الإنجليزي "هازليت"، بالإضافة إلى ظهور مدرسة أخرى هي "أبولو" في "سبتمبر 1932" التي أنشأها الدكتور "أحمد زكي" وهي امتداد للحركة الجديدة التي بدأت بالمجددين ودعاة التجديد مثل مطران وطه حسين وهيكل وقد لعبت هذه المدرسة دورا كبيرا في تطور الشعر العربي الحديث.

لقد اعتاد النقاد عند الحديث من الأدب والنقد في أواخر القرن التاسع عشر التركيز على ذكر الجهود والأقوال التي تدعو إلى أحياء أساليب أو طرائق الكتابة القديمة في الشعر والنثر في العصر الجاهلي وصدر الإسلام خاصة، وإبراز خصائصها وكان ذلك النقد المجدد، انتقلوا من النقد التطبيقي لشعر إلى التركيز على الدراسات النظرية مبينين أهمية دراسة الأدب ضمن ظروفه الاجتماعية.

لم يكن طه حسين بعدا من تأثير هذه الحركة النقدية التي كانت في الأزهر والجامعة المصرية، أو ما كان منها في البيئة الثقافية العامة، بل كان راصدا جيدا لها، متأثرا بها، ومؤثرا فيها بنشاطه الفكري والأدبي الذي بدأه.

والنقد يفتح الآفاق الرحبة أمام الأدب، فيمضي الأدباء بكل صدق وموضوعية يتلمسون أسباب الجودة أو الرداءة في كل ما يرشح خاطر مجتمعهم.

والنقاد لا يقلون أهمية الشعراء والخطباء والأدباء، فهم ميزان القول بما لديهم من بصائر نفاذه وأحاسيس مدربة بعيدة المنال.¹

ومن أهداف الدراسة النقدية في العصر الحديث الاتصال بين العصور الأدب القوية وبين العصر الحديث والمحافظة على الروح العربية الإسلامية التي تمثل هويتنا الحضارية وشخصيتنا الإسلامية.

1) مدرسة الإحياء:

استخدم مصطلح الإحيائية الدلالة على المرحلة الأولى من مراحل تطور الأدب العربي الحديث، وهو بعث التراث القديم والاهتمام بضوابطه وقواعده، وقد ظهرت هذه الحركة في أواخر القرن التاسع عشر، ويعد الشيخ "حسين المرصفي" أحد ممثلي المدرسة الإحيائية ورائدا لها بالإضافة "معروف الرصافي" و "البارودي".

وفي إطار الحديث عن أنضج الممارسات النقدية لتلك الفترة أو المرحلة، يجب الحديث عن الشيخ "حسين المرصفي" (1815م-1890م)، وذلك لما له من تأثير نقدي كبير في مرحلته، ولما امتاز به من وعي نقدي يظهر واضحا في كتابه الشهير -الوسيلة الأدبية للعلوم العربية- وهو الكتاب الذي يصفه "محمد مندور" شديد الشبه بكتب الأمالي العربية القديمة كأمالي أبي علي القالي وأمالي المبرد وغيرها، وذلك لكي يتسق مع موضوعه، الذي هو تعليم إنشاء الشعر والنثر، فهو أساس محاضرات الشيخ لطلبته التي كان يلقيها عليهم في دار العلوم عند إنشائها سنة 1870.

ونقد المرصفي يقوم على موازنات لها ثوابت، من هذه الثوابت:

- توجيه بعض النقاد دونما تقليد معتمدين على الذوق الخاص.

¹ حسين الحاج حسن: النقد الأدبي في آثاره وأعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1996، ص25.

- العناية بالنقد اللغوي كما كان عند القدامى.
- مؤاخذة الشاعر في السرقة من حيث اللفظ والمعنى.
- عدم استحسانه للبيت الذي يكثر لفظه، ويقل معناه، كبيت أبي فراس الحمد:
فما جازه جود ولا حل دونه *** ولكن يصير الجود حيث يصير

ففي بداية المجلد الأول من كتاب الوسيلة الأدبية يحدثنا حديثا نظريا عن العلم والأحكام الشرعية والعلوم الملقبة بعلوم العربية وفنون الأدب. ثم يواصل المرصفي بعد هذا التأسيس النظري وتحديد العلوم التي سيتحدث عنها ووضع تعريفا لها:

- فاللغة عنده: علم يصور الألفاظ وتعيينها للأشياء التي يفهمها العالم بوضع لها.
- الصرف: علم يبين صيغ الألفاظ وكونها أصولا وزوائد متبادلة الحروف وكيفية النطق بها.
- الاشتقاق: علم يبين جل الألفاظ أصولا وتفريغ بعض آخر عنها.¹

فإذا انتقلنا إلى المجلد الثاني وجدنا صورة مشرقة للجهد العلمي المتأني الصابر، والتذوق الجمالي النافذ، وانهاج منهج يتلاءم مع التأليف في علوم البلاغة والأدب والنقد الأدبي.

بدأ هذا المجلد بما سماه الثالث من فنون البلاغة، تحدث فيه عن فن البيان وفن البديع ثم تحدث عن فن العروض والقافية ففصل الكلام عن موسيقى الشعر العربي وبحوره والقافية والتجديد في هذا الفن، وتحدث عن صناعة الشعر وأفاض في نقل قصائد لمشاهير الشعراء، ونقل كثيرا من الأمثال العربية وتناولها بالدرس والتحليل.

¹ حسين المرصفي: الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية للكتاب، مركز تحقيق التراث، مصر، 1982، ص19.

وعلى أية حال، ففي الوسيلة الأدبية مجموعة من الآراء والأفكار الرائدة التي كان أعمق الآثار، وبها قضايا ربما تثار لأول مرة في العصر الحديث، ومن أمثال هذه القضايا:

- الحديث عن اللهجات العامية بطريقة موضوعية.

- دراسة علوم جديدة مثل فقه اللغة.

- مناقشة نصوص الشعراء وكتاب معاصرين بطريقة تحليل النصوص وتذوقها.

- تحليل الأدب بصورة تقرب من التحليل النفسي.

ولاشك أنه أول من أرسى قواعد المنهج التاريخي في الدرس الأدبي، من خلال هذا المنهج قسم الشعراء إلى ثلاث طبقات:

- طبقة الجاهلين والإسلاميين من المهلهل إلى بشار بن برد.

- طبقة المحدثين الذين كانوا يحرصون على موافقة العرب ويجدون في سلوك طرائقهم، من أبي نواس إلى قبيل القاضي الفاضل.

- طبقة الشعراء الذين غلب عليهم استعمال النكات والإفراط في مراعاة البديع وهم القاضي الفاضل إلى اليوم وتتبع خصائص كل طبقة من هذه الطبقات.¹

وفي ذلك كله يبدوا المرصفي متوافقا تماما مع الرؤية العامة للنقد الأحبائي، لكن ما يعد غير متوافق مع ما تقدم، ما تحدث به المرصفي عن قصيدة "الأمير" للبارودي، إذ امتدح المرصفي اتساق أبياتها وانتظامها معا، بشكل لا يسمح معه بوضع بيت بين بيتين، أو بتغيير بيت من أبيات القصيدة بالتقديم أو بالتأخير، وهو ما يبدوا مخالفا لما أبداه من رأي في وحدة البيت وقيامه كوحدة مستقلة بذاته.

ومما تقدم يلاحظ على النقد في تلك الفترة أنه في مقابل إلزامه الأدب بهدف تعليمي وأخلاقي يجب أن يتضمنه، فإنهم النقاد أنفسهم التزموا بجانب تعليمي يقومون به اتجاه

¹ حسين المرصفي: الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدسوقي، ص 24-25.

الأدباء أيضا، أي أنهم حرصوا على أن يكون النقد نفسه ذا صيغة تعليمية تعين الأديب على تأليف الأدب كما رأينا مثلا في كتاب الوسيلة الأدبية سابقا.

(2) مدرسة أبولو:

أنشأ الدكتور أحمد زكي أبو شادي جماعة أدبية صدرت في سبتمبر 1932 لأول مرة في تاريخ الأدب العربي مجلة خاصة بالشعر ونقده جمعت أبا شادي و خليل مطران وإبراهيم ناجي وكمال الكيلاني ومحمود عماد وأحمد الشايب ومحمود طه وحسن كامل الصيرفي وصالح جودت وغيرهم، وكان شوقي في أول الأمر رئيس هذه الجماعة ولكنه مات هو وحافظ إبراهيم في نفس السنة التي أنشأت فيها الجماعة، وكان موتها فاصلا بين عهدين: عهد الكلاسيكية التي لعبت دورها في نقلة الشعر إلى شيء جديد متابع لحركة الحياة وهو أمر طبيعي في تاريخ تطور الشعر وعهد جديد مثلته جماعة أبولو وعلى رأسها أبو شادي المثقف المجدد الذي أثر باتجاهاته الشعرية في جيل كامل الشعراء.

إن الدور الذي لعبته جماعة أبولو، كان امتدادا للحركة الجديدة التي بدأت بالمجددين ودعاة التحديد مثل مطران وطه حسين وهيكمل وسلامة موسى وعبد الرحمان شكري والعقاد والمازني، وصحيح أن جماعة أبولو لم تتجب ناقدا مثل العقاد والمازني لكن المعارك القلمية والتعاليم النقدية التي نشرها رائدها أحمد زكي أبو شادي في أبحاثه وردوده على ناقديه، ومقدمات دواوينه كان لها أثر كبير حيث كان هذا الرائد صاحب ثقافة أدبية واسعة في الأدبين العربي والعالمي خاصة الأدب الإنجليزي لتمكنه من اللغة الإنجليزية إلى حد التأليف شعرا ونثرا إلى جانب عيشه مدة طويلة في إنجلترا.¹

ومما لا شك فيه أن جماعة أبولو قد لعبت كذلك دورا هاما في تطوير الشعر لعربي الحديث ونقده، كون أن حركة الديوان لم ترب أتباعا وتلاميذ ولم تخلق مدرسة شعرية وذلك

¹ كمال نشأت: النقد الأدبي الحديث في مصر، نقلا عن شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، ص44.

أن المازني هجر الشعر، أما العقاد فلم طبعه على الرغم من مواصلة إخراج الدواوين لتكوين مدرسة شعرية.

لقد قدر لدور مجلة أبولو في تاريخ الشعر العربي الحديث أن يكون دورا تاريخيا، فقد كانت انجازاتها عديدة، ورغم أن المجلة لم تكن العناية بما تنشره من مواد، إذ كانت تتسم بطابع حب الترضية، إلا أنها كانت في الأساس مجلة طليعية تجريبية، فقد عرف القارئ العربي بكثير من أمثلة الشعر الغربي عن طريق من نشرته من ترجمات، وكانت تعكس روح التسامح وتشجيع المواهب.

كانت مجلة أبولو فوق كل شيء، منبرا للنظرية، والتتظير الأدبي فقد كانت الحاجة ماسة إلى مقاييس ومفاهيم جديدة، وكان جل ما يكتب مستمدا من مصادر غربية، ما أدى في النهاية إلى نوع من التشويش بين الثقافتين ومفاهيمهما المختلفة للأدب والفن، كما أنه ولد بعض المصاعب الناتجة عن التباين بين أهداف النقاد وكفاءاتهم، وقد كانت الفوضى بين المصطلحات والقواعد كبيرة حتى إن ناقد أصيلا كإسماعيل مظهر لم يتمكن من أن يشق الطريق نحو رؤيا أوضح للحقل الأدبي، غير أن خيطا من قوة إبداعية حقيقية كان يسري خلال الفوضى شاقا طريقه في زحمة الأفكار والتجارب المختلفة. وقد كانت التجارب الأكثر جرأة على حق في ملاحقتها الغريزية للتنوع، لأن وراءها كانت ثمة حاجة فنية حقيقية عبرت عن نفسها بذلك الظهور المتتابع للتيارات المختلفة في الشعر، تيارا بعد تيار، خلال العقود الأربعة التي تلت ظهور حركة الشعر الحر في الخمسينيات، غير أنه لا بد من التشديد على أمر مهم، وهو أن النظرية الأدبية كانت أقوى بكثير من الإبداع الشعري الذي صاحبها.¹

¹ د. سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1977، ص404.

وتظهر مبادئ مدرسة أبولو التي تعمل على النهوض بالشعر العربي ورقية ومواصلة تقدمه ومتابعته المذاهب التجديد في العالم وهذه الأهداف كما أعلنتها هي:

- السمو بالأدب العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيهها شريفاً.
- مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر.
- ترقية مستوى الأدباء مادياً وأدبياً واجتماعياً.

أما القيمة الفنية عندهم في القصيدة وخصائصها هي:

- 1) التجربة الشعرية: وهي استجابة العاطفة أو العامل النفسي للعوامل الخارجية، والتغلغل بين جوانب النفس حتى تنتج التجربة من أعماق الشاعر.
- 2) الوحدة العضوية: لا تعنى عندهم وحدة الموضوع، فالقصيدة في نظرهم بنية عضوية حية تتفاعل عناصرها وتمتزج بعضها ببعض وتتمو العناصر نمواً داخلياً حتى يتكامل الموضوع.
- 3) الصورة الأدبية: تعتمد هذه المدرسة على التعبير بالصورة الأدبية، فهي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تنقل ما في نفسية الشاعر من التجربة النفسية إلى الآخرين.
- 4) الإيحاء من اللفظ: لا بد أن يكون اللفظ في الصورة عندهم موحياً تتعدد معانيه، والكلمة ترسل خيوطها إلى كل مكان، فإن كثرة المعاني والاتجاهات للكلمة الواحدة تتحدد حسب كل قارئ، فيفسرها حسب ذوقه.
- 5) الهيام بالطبيعة: إذ هم أحبوا الطبيعة، فقد وجدوا فيها القلب الحنون والأم الرؤوم، كارهين صخب المدينة وضوضائها، فعشقوها عن حب، وعانقوها عن هيام، فأحبوها وأحبتهم، وألفوها وألفتهم، وحدثوها وحدثتهم عن أسرار الجمال فيها وسحر الوجود منها، يقول محمود غنيم:

نبهوني لدى السحر نبهوني

وضعوني على النهر ودعوني

أنا والماء والشجر في سكون

أملأ السمع والنظر في الفنون

ثم أفضي إلى القمر يشعوني

(6) البناء الفني للقصيدة: فقد أبدوا الشعر الحر، الشعر المرسل وتعدد الوزن والقافية في القصيدة الواحدة، وأبدعوا في الشعر القصصي والأقصوة الشعرية، ودعوا إلى التحرر بصفة عامة في الشكل والمضمون عن مذهبي "الفن للفن" والقفن الحية.¹

(3) مدرسة الديوان:

وهذه التسمية نسبة إلى كتاب الديوان الذي أصدره كل من العقا والمازني، ويتكون من عشرة أجزاء، صدر منه جزءان سنة 1921م، ومن خلال مقدمة هذا الكتاب يحدد لنا العقاد والمازني المفاهيم الأدبية الجديدة، فقد كان موضوع هذا الكتاب الأب عامة، ووجهة الإبانة عن المذاهب الجديدة في الشعر والنقد والكتابة، ويحدد العقاد الأصول الثقافية لهذه المدرسة بقوله: "فالجيل الناشئ بعد شوقي كان وليد مدرسة أوغلت في قراءة الإنجليزية، ولم تقتصر قراءتها على أطراف من الأدب، ولعلها استفادت من النقد الإنجليزي فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى ولا أخطئ إن قلت أن هازليت هو إمام هذه المدرسة كلها في النقد لأنه هو الذي هداها إلى معاني الشعر والفنون وأغراض الكتابة، ومواضيع المقارنة والاستشهاد."²

¹ د. حامد جفني داود: تاريخ الأدب الحديث، تطوره ومعالمه الكبرى -مدارسه-، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1993، ص 49-50.

² كمال نشأت: النقد الأدبي الحديث في مصر، نقلا عن تطور النقد العربي الحديث في مصر، ص 32.

إن كثرة هذه المبادئ والتعاليم الجديدة على البيئة الأدبية والتي دعت إليها مدرسة الديوان كانت قد عرفت في هذه البيئة منذ أواخر القرن العشرين، فقد تطرق إليها أدباء كثيرون.

وفضل مدرسة الديوان هو أنها حددت هذه المبادئ والتعاليم ودعت إليها على المستوى النظري، وإذا كان كتاب "الديوان" يحمل صورة عنيفة وقاسية لهذا النقد التطبيقي، فقد كانت نفوس أصحابه متوترة بطبيعة طبعهم، ووضعهم الشخصي لكونهم شبان، ويرون الأفق مسدوداً أمامهم بالأدباء والشعراء التقليديين، وخير مثال على هذا ثورة العقاد، حيث يقول الدكتور الدسوقي: "أما العقاد فكان أعنف أبناء هذا التيار ثورة وأشدهم ندا في الخصومة، وهو كزميله شكري والمازني كان يعيش في ظلال ظروف نفسية واجتماعية كثيفة الظلام، بل لعله ذاق أكثر من زميليه مرارة هذه الظروف ... ولهذا كان يعيش شديد الضراوة في معاركه، وقد ساعده على تأريث الثورة مزاجه الخاص وعناده وصلابته".¹

كان شكري شديد الإيمان بالتجديد، ومن بين آراءه عن الشعر ثمة بحث مهم عن دور التشبيه والخيال، لقد حدث تغيير جوهري في ما بعد في مفهوم الصورة جميعها في الشعر العربي الحديث، لكنه من الطريف أن نرى هنا بدايات تلك المناقشة المهمة التي ازدهرت في حقبة الخمسينات والستينات .

يؤكد شكري أن الخيال لا يقتصر على اختراع التشبيهات، بل إنه يشمل عناصر أخرى مثل موضوع القصيدة، والأفكار والروحانية العامة، أما التشبيه فيجب ألا يطلب لذاته لأن قيمته تكمن في قدرته على إثارة الذاكرة والأمل والعاطفة أو في كشف الحقيقة.

¹ المرجع نفسه، نقلاً عن شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، ص 191.

وكانت فكرة شمولية الشعر من بين الأفكار التي ناقشها شكري، فالشاعر لا يكتب للعامة ولا لقرية ولا لأمة، وإنما يكتب للعقل البشري ونفس الإنسان أينما كان، وهو لا يكتب لليوم الذي يعيش فيه، وإنما يكتب لكل يوم وكل دهر.¹

وفي كتاب المازني -الشعر غاياته ووسائله- تغنى بشأن ومقام الشاعر، ففي رأيه أن يجب ألا تستعمل الكلمات من أجل ذاتها، بل لكي ترسم صورة أو تستشير عاطفة، كان يقول إن الشعر يبقى نتاج العواطف والمشاعر، والواقع أن شعره قد أقام الصلة مع عواطف القلب البشري وعبر عن مشاعره.

كان المازني يرى أن الوزن مهم كذلك، وربما كان أول شاعر عربي يربط بين العاطفة في الشعر وبين الوزن "إن كل عاطفة عندما تسيطر على الروح وتتساب باعتدال على النقيض من العواطف المضطربة المشوشة التي يعدها غير شعرية على الإطلاق، تبحث دائما عن لغة تلائم انسيابها ... فالعواطف العميقة الدائمة كانت تبحث عن تعبير لها في لغة موازنة فكلما عمقت المشاعر كانت التراكمات الموزونة أشد بروزا وتأثيرا.

أما ... المازني في نقده لأستاذه وصديقه شكري فراجع إلى أن شكري كان قد كتب في مقدمة ديوانه الخامس "الخطرات" الصادر 1921 مشيرا إلى أن المازني يسرق أبياتا ومعان من الشعر الإنجليزي ويضمها في شعره، ومن هنا كان الهجوم على شكري والقسوة في نقده، والتحامل عليه، وقد تراجع المازني بعد ذلك بسنوات على هذا الهجوم معترفا بخطئه وبفضل أستاذه شكري عليه.

إن أهم ما مكن لهذه المدرسة في ميدان النقد أن أصحابها من الشعراء شديدي الولع بكناية الشعر ويمكن تلخيص التعاليم النقدية التي جاءوا بها في النقاط التالية:

¹ د. سلمى الخضراء الجيوسي: ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص214.

1- الدعوة إلى وحدة القصيدة العضوية.

2- الاعتماد على العاطفة والصدق الفني والبعد عن الزخرفة الأسلوبية.

3- الاهتمام بالطبيعة والاندماج فيها.

4- محاربة التقليد والدعوة إلى شعر يمثل البيئة والعصر.

وهذه المبادئ أعلنها العقاد في مقدمة الجزء الأول من الديوان، أن يؤكد نزعتَه التجديدية والتحررية، لا على مستوى النظري فحسب، ولكن على المستوى التطبيقي أيضا.

وكل من هؤلاء الشعراء الثلاثة يحاربون التقليد محاربة شديدة، فهم يسعون إلى استحداث صورة جديدة للشعر بع أن قرأوا في الآداب العالمية، وعندما تحققت لهم هذه الصورة بدأوا يدعون الشعراء والأدباء إلى فهمها وتذوقها، والظاهرة التي تلفت النظر وتستحق الإشارة هي أن بعضهم كشكري كان أسبق في الوقوع على بعض هذه التعاليم الجديدة، وكان العقاد في مجال الدعوة والشرح لمفهوم هذه التعاليم والآراء هو الأدق والأوضح شرحا.¹

كانت مسيرة العقاد شاعرا وناقد شعر أكثر مسيرات الثلاثة ثباتا فخلال حياته الطويلة المثمرة بقى مخلصا للدور الذي نصب نفسه فيه، وهو دور حامي القلعة الأدبية، وقد كتب كما فعل المازني في النقد النظري والتطبيقي معا، وكان دائم الدعوة للحدثاء والحقيقة والعمق وتصوير نفس الشاعر، ففي اهتمامه المزوج لأحداث ثورة في مفهوم الشعر وتنصيب نفسه في الوقت ذاته زعيم الشعر في مصر كان يعمل في حقول ثلاثة: الأول، وهو أكثرها فائدة للشعر، كتاباته في النظرية الشعرية، والثاني نقده التطبيقي: وهو نقد عتيق، مرير، خال من التميز أحيانا، ولكنه أثر في مستويين اثنين، فمن ناحية أولى ساعد في تحطيم الحصون المحيطة بمدرسة الكلاسيكية المحدثه، فكان أحد الأسس التي قام عليها بعد النقد الموجه ضد التقليديه، ومن ناحية ثانية ذلك النقد الموضوعي المتزن، أما الحقل الثالث فكان في

¹ كمال نشأت: النقد الأدبي الحديث في مصر، نقلا عن شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، ص193.

الأمثلة التي قدمها من شعره، حول ما كان ينادي به من نظريات، وهنا كانت الكارثة، فنظريات الحديثة الواضحة، وإدراكه الدور الثاني الذي كان يريد القيام به، وإصراره على منزلته الخاصة شاعرا.¹

وقد تميز المذهب النقدي الجديد الذي دعا إليه العقاد وزميليه بـ:

- 1- إن الشاعر العبقرى هو الذى يفكر كل فكر وأن يحس كل إحساس.
 - 2- الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة، وشرح عواطف النفس وحالاتها.
 - 3- لا يراد لذاته وإنما يراد لشرح عاطفة أمر، توضيح حالة أو بيان حقيقة.
 - 4- جل العواطف الشعرية ما قيل فى التحليل لعواطف النفس، ووصف حركتها كما يشرح الطبيب.
 - 5- الشعر هو ما أشعرك وجعلك تحس عواطف النفس إحساسا شديدا لا ما كان لغزا منطقيا أو خيالا مجنحا، فالمعاني الشعرية هي خواطر المرء وآراءه، وتجاربه وأحوال نفسه وعبارات عواطفه.
 - 6- مراعاة وحدة القصيدة سواء كانت وحدة فنية أو وحدة عضوية، فينبغى على الشاعر أن يميز بين جوانب موضوع القصيدة وما يستلزمه كل جانب من الخيال والتفكير.²
- وفى الأخير وكخلاصة عما تقدم، يمكن القول أن العلم قد أتاح للناقد الحديث الدقة فى تحقيق النصوص بالأساليب المتنوعة أو بالمناهج الفكرية والعقلية، كما أتاح قدرة أكثر على تفهم حقائق النص الأسلوبية، كذلك أتاح الدراسات الاجتماعية والنفسية ودراسات علم الجمال والفنون والآداب المختلفة الفرص للنقاد للتفهم والمقارنة ووسعت آفاقهم ومداركهم،

¹ سلمى لخضراء الجبوسى: ترجمة - الدكتور عبد الواحد لؤلؤة، الاتجاهات والحركات فى الشعر العربى الحديث، ص220.

² دعوات أحمد فؤاد: فى أدب العقاد، دار المعارف، د/ط، ص186-187.

ووضحت أمامهم الرؤيا، وبذلك أمكن لجماعة من النقاد المحدثين عرض الآداب الحديثة على أضواء جديدة، ومن المحاولات الجادة للتحويل بالنقد ثلوث الطليعة شكري، المازني والعقاد ثم طه حسين وهيكل فقد تأثر هؤلاء بالدراسات الأوربية في النقد وخاصة الأدبين الإنجليزي والفرنسي.¹

وقد أصبحت وظيفة الناقد الحديث أن يكشف ما يحاول الأديب أو الكاتب أن يخفيه عن الأنظار، أو التعرف على ما يحاول إخفاءه عن غايات، وبهذا يصبح الناقد لا مجرد متعقب للأخطاء، بل صاحب دور إيجابي متهم لدور المؤلف.

وإزداد اهتمام الناقد بالنص والمؤلف وما يحيط بهما من ظروف المحيط والزمان أو المكان والبيئة الإنسانية أو المادية، واحتاج إلى أن يحيط بهما بمجموعة من المعارف اللغوية والأدبية والفنية والتاريخية والاجتماعية، أو احتاج إلى سعة في الثقافة وعمق بمقدار لا يحتاج إليه غيره من المعرفة الأخرى.²

¹ محمد زغلول سلام: النقد الأدبي أصوله واتجاهاته ورواده، ص 108.

² محمد زغلول سلام: النقد الأدبي أصوله واتجاهاته ورواده ، ص 109.

الفصل الأول: التنظير النقدي

عند طه حسين:

- (1) نظرة طه حسين إلى النقد والنقاد.
- (2) منهج طه حسين في النقد والدراسة الأدبية.
- (3) معايير النقد عند طه حسين:
 - (أ) المجتمع والبيئة.
 - (ب) طه حسين وصدق في التعبير.
 - (ج) اتجاهه الجمالي الذوقي في النقد.
 - (د) الأسلوب أو المعيار البياني.
 - (هـ) حرية الأديب.
 - (و) الخيال.
 - (ي) النزعة التأثرية.
 - (ز) معارضته لمنهج التحليل النفسي في النقد.

الفصل الأول: التنظير النقدي عند طه حسين

1) نظرة طه حسين إلى النقد والنقاد:

إن التفكير ظاهرة اجتماعية لا فردية، بمعنى أن الفرد لا يفكر ولا يقدر ولا يروي إلا من حيث هو عضو من أعضاء الجماعة التي يعيش فيها، فالإنسان الفرد الذي ينشأ في جزيرة نائية مقطوعة الصلة بحياة الناس، فيعيش فيها مفكراً ومروياً، يجد نفسه يفكر في طبيعة الأشياء، ويكتشف حقائقها وأصول التفكير والمنطق، هذا الإنسان صورة من صور الأساطير لم يوجد ولم يعرف.¹

من هنا نستطيع أن نقول أن التفكير والإنتاج الأدبي كلاهما ظاهرة اجتماعية لا يمكن أن تكون إلا في الجماعة التي تسمع الأثر الأدبي وتقرؤه وتتأثر به راضية عنه أو ساخطة عليه، ومهما يكن فالأديب هو المنتج لهذا الأدب، كائن اجتماعي لا يستطيع أن ينفرد ولا يشتغل بحياته الأدبية إلا إذا اشتدت الصلة والى أن يراها مترددة بينه وبينهم، وذلك يدفعه للعمل والنشاط في الإنتاج، ويشيع في لغته القوة والجدة والنشاط ويلاءم بين هذه اللغة وبين قلوب الناس الذين يقرؤونه، ولهذا نشأ لون من الأدب هو الذي يحقق هذه الصلة بين المنتج والمستهلك لأنه يقوم مقام الرسول بينهما وهذا اللون هو النقد الذي يبلغ رسالة الأديب إلى الناس فيدعوهم إليها ويرغبهم فيها، يصرفهم عنها، يقول طه حسين عن نشأة هذا النقد "... وإنما يشبه إنسان أديب له في أكثر الأحيان، ما للأديب المنتج من الخصال المحمودة والمذمومة مخادع لنفسه أو مخادع للناس في كثير من الأحيان في فنه أو عما يقصد إليه بهذا الفن."²

ثم يبدي رأيه في النقد والناقد "فالناقد آخر الأمر أديب بأدق معاني الكلمة والنقد آخر الأمر أدب بأصح معاني الكلمة أيضاً، وبما أتاحت للناقد مزايا لا تتاح للأديب المنشئ،

¹ طه حسين: المجموعة الكاملة، ج5، فصول في الأدب والنقد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص341.

² المصدر نفسه، ص343.

فالناقد مرآة لقرائه، كما هو مرآة للأديب أيضا، ولكن الناقد مرآة صافية وواضحة جلية كأحسن ما يكون الصفاء والوضوح والجلاء، وهذه المرآة تعكس صورة الأديب نفسه كما تعكس صورة الناقد.¹

يرى طه حسين النقد مجتمع من ثلاث صور لنفسيات ثلاث هي: نفسية المنشء المؤثر، ونفسية القارئ المتأثر، ونفسية الناقد الذي يفصل بينهما بالعدل.

وفي فصول من النقد الأدبي تناول طه حسين قضية التأثير والتأثر، ولم يكن مقصرا أو متواضعا لرؤيته للأدباء والقراء، لأن التواضع حسب رأيه لم يصبح ملائما للبدع في هذه الأيام بل ارتفع وتكلف في الارتفاع لأنه لم يرد أن يقبل على القراء والأدباء مسالما ولا موادعا، بل أراد أن يقبل عليهم مخاصما وملحا في الخصام، وأضح نيته في هذا التعامل مع النص الأدبي كي لا يسيء الظن به، حيث يقول "والله أعلم ما أفعل ذلك في الخصام وإيثارا له، أو رغبة في الاستعلاء والكبرياء، إنما أفعل ذلك تمعدا للإيقاظ قوم ينام قد طال عليهم النوم حتى كان يشبه الموت، وهؤلاء القوم النيام هم الأدباء والقراء."²

فالأدباء حسب رأيه ينتجون وهو نيام لأنهم أهدوا النقد ويرضون عن أنفسهم أو يسخطون عليها، لأنهم اطمأنوا، حيث أن الناس لا يأتي منهم ما بدل على الرضا أو على السخط، وفي رؤيته كذلك للقراء وهم نيام، لأنهم تعودوا أن يضيعوا الوقت بين حين وآخر في قراءة كتاب ما لأديب ما، لكن هذه القراءة ليست رغبة قوية حول رأي من الآراء ذو مذهب من المذاهب، بل العادة هي التي دعتهم للقراءة لملا الفراغ.

لهذا أراد طه حسين أن يتيح للنقد هذه الفرصة لكي يقول ما يشاء، فالهدف ليس الإيثار فقط أو القراءة، بل الأهم من هذا كله وجود الروح النقدية، إذ جعل من النقد وسيلة

¹ يوسف نور عوض: الرؤية الحضارية والنقدية في أدب طه حسين، دار القلم، بيروت، لبنان، ص164.

² طه حسين: المجموعة الكاملة، ج5، ص342.

كفيلة لإيقاظ الأدباء والقراء، لكن إيقاظهم لا بد من النقد أن يبلغ أسماءهم، وهذا لن يحصل إلا إذا رفع صوته رفعا عنيفا وهز النائمين هزا عنيفا.

النقد الأدبي والتاريخ الأدبي عند طه حسين يمثلان مرحلتين متعاقبتين متداخلتين في الوقت نفسه، إن الجانب العلمي الخالص يسبق الجانب الفني الخالص، ولكن هذا الجانب الفني مع ذلك في الجانب العلمي، والعكس صحيح، لذلك يبدو النقد الأدبي عند طه حسين وكأنه الجانب الفني من تاريخ الأدب، ويبدو التاريخ الأدبي وكأنه مرادف للنقد الأدبي، وإذا تجاوز طه حسين التداخل بين الجانبين ليفهمها باعتبارهما مرحلتين متعاقبتين، أكد أن الجانب العملي من تاريخ الأدب يعتمد على العقل، بينما يعتمد الجانب الفني أي النقد الأدبي على العواطف والشعور.¹

ويظل الفارق الأساسي بين التاريخ الأدبي والنقد الأدبي فارقا تقريبا، يعتمد على تغليب الموضوعية والفهم فيما يسميه طه حسين الجانب الفني، ويبدو أن هذا التمييز التقريبي هو الذي يسمح بالتعميم.

ويؤكد طه حسين أن تاريخ الأدب لا يعتد على مناهج البحث العلمي الخالص وحدها، فيقول: "إن تاريخ الآداب لا يستطيع أن يكون علما قائما بنفسه بينه وبين الحياة الأدبية من البعد مثل ما بين التاريخ السياسي والحياة السياسية، ذلك لأن تاريخ الأدب لا يستطيع أن يعتمد على مناهج البحث العلمي وحدها، وإنما هو مضطر معها إلى الذوق.

وواضح أن الأدب يوجد أولا، ثم يوجد نقده، لسبب بسيط وهو أن النقد يتخذه موضوعا له، ومن هنا ينشأ الفرق البين بينهما، فالأدب موضوع الطبيعة والحياة الإنسانية، والنقد

¹ جابر عصفور: المرايا المتجاورة، دراسة في نقد طه حسين، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1983، ص198.

موضوعه الأدب، فهو فن مشتق من غيره، أو متوقف على غيره، إذ لا يوجد بدون أدب يشتق منه قواعده، ويسلط عليه مقاييسه، ويصور فيه رضاه وسخطه.¹

وينبغي أن نفرق بين منذ الآن بين النقد من جهة وتاريخ الأدب والبلاغة من جهة ثانية، أما تاريخ الأدب فيتضح من كلمة "تاريخ" المقترنة به أنه جزء من التاريخ العام، تاريخ حضارة الأمة، غير أنه لا يؤرخ حياتها السياسية والاجتماعية، إنما يؤرخ حياتها العقلية والشعورية، ويتسع مدلول "تاريخ الأدب" عند الغربيين فشمّل كل ما ينتجه العقل والشعور في ديارهم، وعلى كل حال تاريخ الأدب غير النقد، فالأول يتناول كل الآثار العقلية والشعورية عند الأمة متعقباً لها مع دورات التاريخ، واضعاً كل أديب في مكانه أو مدرسته إذا كانت له مدرسة، أما النقد فلا يحاول هذا التاريخ الكبير، إذ حسبه أن يقف عند الأدباء وما صاغوه من آثار فنية ليحللها ويقومها، مفسراً مواطن الجمال والقبح فيها، ومستكشفاً مواضع القوة والضعف.²

(2) منهج طه حسين في النقد والدراسة الأدبية:

يقوم كل عمل أدبي على منهج خاص، وفقاً لطبيعة العمل، كما أن لكل أديب منهج، فطه حسين يمتاز بمنهج في النقد والدراسة الأدبية، وهو تطبيق المنهج العلمي إذ طبقه على الأدب العربي قديمة وحديثة، ويعتبر طه حسين ممثلاً لهذا المنهج الفني العلمي أو الأدبي العلمي، وهو آخر المذاهب التي دار حولها النقد في هذه الفترة وأثناء دراسة طه حسين في الأزهر تعرف على الأدب العربي القديم، وشمل من موارده، وتمكن فيه وأعجب به، وأثناء سفره إلى فرنسا وقف على آثار كبار العلماء الذين يعود لهم الفضل الكبير على الحضارة العربية والفكر المعاصر مثل: ديكرت، فولتير، جون جاك روسو، سانت بييف.

كما قرأ لكثير من الشعراء وكتابها، وخاصة شعراء القرن التاسع عشر.

¹ شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، النقد، دار المعارف، كورنيش النيل، ط5، القاهرة، 1954، ص 09.

² المرجع نفسه، ص 10.

كان طه حسين يعتمد في نقده على المذاهب النقدية الفرنسية إبتداءً من رسالته للدكتوراه "تجديد ذكرى مع أبي علاء المعري" فقد تابع تعاليم "سانت بيّف" و"تين" فنجدّه يتحدث عن المنهج الذي اتبعه في تأليف هذا الكتاب قائلاً "جعلت أبي العلاء درسا لعصره واستتبّطت حياته مما أحاط به من مؤشرات، ولم أعتد على هذه المؤشرات الأجنبية وحدها، بل اتخذت شخصية أبي العلاء مصدرا من مصادر البحث بعد أن وصلت إلى تعيينها وتحقيقتها وعلى ذلك فليست في هذا الكتاب طبيعيا فحسب، بل إن طبعي نفسي، أعتد فيه ما تنتج المباحث الطبيعية ومباحث علم النفس".¹

كما طبق طه حسين منهج ديكارت العقلي في دراسته لشعر العربي بصورة جريئة لم تعهد من قبل، وإن كان بعض ما تناول من قضايا غير جديدة على النقد العربي، كقضية الانتحال التي عرضها في الشعر الجاهلي، فهي قديمة ترجع "لابن سلام" صاحب كتاب "طبقات فحول الشعراء" كما كانت الجرأة في التناول دون خشية التعرض لبعض ما كان يتخرج العلماء الخوض فيه من أمور تشمل الدين والعقيدة.

أ- طه حسين منهجي ديكارت:

إن طه حسين قد خالف طريقة القدماء في البحث، وأبع المحدثين في تناوله أو اعتماده المنهج الشكي، والذي من خلاله يكاد التأثير الغربي واضح على الفكر العربي، وخاصة في هذا الكتاب "في شعر الجاهلي" حيث يقول: "أريد أن أقول أنني سأسلك في هذا النحو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة فيما يتناولون من العلم والفلسفة، أريد أن اصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي استحدثه "ديكارت" للبحث عن الحقائق والأشياء في أول هذا الحديث، والناس جميعا يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وقد كان من أخصب المناهج

¹ طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء المعري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984، ص13.

وأقومها وأحسنها أثراً، وأنه قد غير مذاهب الأدباء، فلنصطلح هذا المنهج حيث نريد أن نتناول أدبنا العربي القيم بالبحث والاستقصاء.

على ما يبدو أن طه حسين لم يشك في الشعر الجاهلي كله وإنما شكك في بعضه فقط، وأريد أن أضع عشرات الخطوط تحت لم يشك فيه كله، وإنما شك في أكثره وبقي بعضه لم يشك فيه ولكنه مع ذلك لم يمكن أن يمثل حياة الجاهليين ... هذه الحياة في جوانبها الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية كما تحدده النظرية حين نقارن بين مقالة المستشرق "صامويل مرجليوث" وعنوانها "نشأة الشعر الجاهلي" تلك التي شكت في كل الشعر الجاهلي جملة وتفصيلاً وليس أكثره أو أقله أو بعضه كما فعل طه حسين¹.

عرف طه حسين الشك من أيام الطلب في الأزهر بأن ظاهرة الشك خصلة من خصلة وزادت نمواً وقوة يوم لازم دراسة حياة "أبي علاء المعري" ودراسة عصره فقد تأثر بأفكار أبي العلاء المعري لدرجة أن فلسفته وأفكاره طغت على عقل طه حسين وهيمنت على تفكيره، حتى استحالت من نوازع نفسه وخلوتها وفراغها.²

يعد طه حسين من أوائل الدارسين في العصر الحديث الذين تعاملوا مع الوجود التاريخي بنمط الشك والريبة، إذ المتأمل في دراسته للغزل في عصر بني أمية يدرك أن موقفه يتراوح بين الإنكار الكلي شعراء هذه الظاهرة وبين الإنكار الأحادي لشخصية "قيس بن مروح" ويؤكد ذلك في غير موطن من دراساته في "حديث الأربعاء" محلاً ذلك بأن البحث العلمي يضطره إلى انتهاج الشك واتكائه عليه مناهج النقد أكر أما.

يعتبر مبدأ الشك الديكارتي هو المرجع الرئيسي لمنهج طه حسين في التعامل مع شعراء الظاهرة العذرية علماً أن منهجه هذا انتهجه بعض المستشرقين في التعامل مع كثير من القضايا التراثية العربية من "مرجليوث" في أثارته لقضية النحل والانتحار في العصر

¹ سامح كريم: تقديم ودراسة وتحليل لكتاب في الشعر الجاهلي لطلح حسين، دار المصري اللبنانية، ط2، 2012، ص20.

² المرجع نفسه، ص21.

الجاهلي والذي تبنى عليها صلاحية أطروحة الشك في الشعر الجاهلي، وفي كتابه "في الشعر الجاهلي" ثم في الأدب الجاهلي والذي أثار جدلا نقديا حادا، بين معارض لأطروحات حكمه، وبين متحفظ منها مؤيد لبعضها ومنكر لبعضها الآخر، والتي لازالت كتب النقد تزخر بها.¹

والنتيجة التي خرج بها طه حسين تتمثل في أن، هناك شكا في أكثر الشعر الجاهلي فلا بد أن يكون ذلك محكوما بمنهج يستطيع به فرز الشعر الجاهلي من غيره فكان المنهج الديكارتى ... نسبة إلى الفيلسوف الفرنسي "رونيه ديكارت" الذي استخدمه في تقييم هذا الشعر الجاهلي إلى جانب تأثره بالطبع بأساليب العرب الأقدمين في مسألة الشك تلك التي استخدمها قبل ذلك بأكثر من عشر سنوات في تقييمه شعر الخنساء كما سنرى فيما بعد.

هذا المنهج الديكارتى يقتضي على مستخدمه أن يتجرد من كل المؤثرات ومن كل شيء كان يعلمه أو كما يقول الدكتور طه حسين أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل وأن يستقطب موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما.

ثم يتحدث عن منهجه هذا الذي اتبعه وهو يقصد طبعاً المنهج الديكارتى فيقول: "فلنصنع هذا المنهج حين يزيد أن يتناول أدبنا العربي القديم وتاريخه في البحث والاستقصاء، ويستقبل هذا الأدب وتاريخه وقد بدأنا أنفسنا من ما قيل فيهما من قبل، وخلصنا من كل هذه الأغلال الكثيرة الثقيلة التي تأخذ أيدينا وأرجلنا ورؤوسنا فتحول بيننا وبين الحركة الجسمية الحرة وتحول بيننا وبين الحركة العقلية الحرة أيضا."²

لقد أعلن طه حسين بصراحة أنه استخدم المنهج الديكارتى في تقييمه للشعر الجاهلي، على اعتبار أن هذا المنهج ليس وفقا على العلم والفلسفة فحس، وإنما هو مستخدم

¹ محمد بلوحي: الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث، اتحاد الكتاب، د/ط، 2000، ص25.

² سامح كريم: تقديم ودراسة وتحليل لكتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين، ص22.

في الأدب والأخلاق والحياة الجماعية، ولعل استخدامه للمنهج الديكارتي على الوجه الصحيح ووفق شروطه ينبغي ما قاله أحد تلاميذ الفلسفة عام 1925 الذي كان وقتئذ طالبا في السنة أولى بكلية الآداب بقسم الفلسفة وهو المرحوم "محمود محمد الخضيرى" من أن الدكتور طه حسين لم يستخدم المنهج الديكارتي، وهذا محض افتراء ... والغريب من أن يصدقه البعض من النقاد والأدباء الكبار، وأني أتساؤل¹:

هل يعقل أن يثق القارئ فيما كتب طه حسين الذي قرأ ودرس وتعلم ونال أكبر الشهادات من الجامعة المصرية القديمة وسافر إلى فرنسا لينال الدكتوراه، أم يثق في قول مرسل للطالب للسنة أولى بقسم الفلسفة؟! والعجيب أن يعتمد على هذا القول المرسل العلامة "محمود شاكر" فالسنة الأولى قسم اللغة العربية الذي كان زميلا "للخضيرى" حيث يسجل بعد ذلك في مقدمة كتابه عن المتنبى رأي المرحوم الخضيرى فيما استحدث طه حسين من استخدام المنهج الديكارتي وإعلانه عن ذلك، حيث قال -أي الخضيرى- طعنا في طه حسين: " أن اتكاء الدكتور طه حسين على ديكارت في محاضراته، اتكاء فيه الكثير من المغالطة، بل فيه إرادة التهويل بذكر ديكارت الفيلسوف وبما كتبه في كتابه "مقال عن المنهج" وأن تطبيق الدكتور طه حسين لهذا المنهج في محاضراته عن الشعر الجاهلي، ليس من منهج ديكارت في شيء ... "إلى أن آخر ما ذكره الأستاذ ضمن رأيه في كتاب "في الشعر الجاهلي" أقول هذا عجيب لكن الأعجب أن يتأثر الأستاذ محمد لطفي جمعه الذي كان المهاجمين لطه حسن في هذا الجانب بالذات والقائل عن نفسه أنه على علم بالفلسفة.²

هناك عدة أسباب التي أدت بطله حسين للاستعانة بمنهج ديكارت ومن بينها: أولا: لأنه كان أفضل المناهج وأقومها وأحسنها أثرا، ولأنه جدد العلم والفلسفة تجديدا واضحا، ثانيا: ولأنه غير مذاهب الأدباء في أدبهم، والفنانين في فنونهم، ثالثا: ولأنه هو الطابع الذي

¹ سامح كريم: تقديم ودراسة وتحليل لكتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين، ص22.

² المرجع نفسه، ص23.

تمتاز به نهضة العصر الحديث إلى آخر ما يلحمه في رأيه حتى يقول : "ولو أن القدماء - أي العرب الأقدمين- استطاعوا أن يفرقوا بين قلوبهم وعقولهم، وأن يتناولوا العلم على نحو ما يتناوله المحدثون -أي الديكارتيون- لا يتأثرون في ذلك بقوة ولا عصبية ولا ما يتصل بهذا كله من الأهواء لتركوا لنا أدبا غير الأدب الذي نجده بين أيدينا، ولأراحونا من هذا العناء الذي نتكلفه الآن.

ولعلي أضيف إلى ما وضعه الدكتور طه حسين باستخدامه لهذا المنهج فأقول: لا بأس في أن يستخدم طه حسين منهجا أجنبيا في تقييم تراثنا من الشعر الجاهلي فعقيدتنا تحتنا على أخذ العلم ولو في الصين، وأخذ الحكمة من أي مكان ضالة المؤمن أن وجدها هو أحق الناس بهاء وعلى هذا فلا ضرر ولا ضرار في أن يستخدم هذا المنهج أو غيره مادام لا يعارض مع تفكيرنا أو عقيدتنا.¹

أما المقارنة التي عقدت بين الشك كممارسة "طه حسين" في كتابه الشعر الجاهلي، وشك "ديكاتر" وقد أفضت إلى أن الشك هذا الأخير كان شكا منهجيا لما يحوله من نظام وتسلسل بم لم يفض عليه، وإنما نبع من طبيعة الموضوع -الطبقة الفلسفية- في حين أن شك طه حسين عندما نقله إلى مجال النقد بالتحديد تاريخ الأدب فأصبح من غير الممكن وصفه بالمنهجية، لحاجة الموضوع إلى الشواهد والروايات وهي مادة غير متجانسة، لا يمكن أن يترتب ترتيبا صارما مما يمنع على الباحث تمحيصها والموازنة بينهما.²

ولو أن طه حسين قد طعن في بعض الشواهد في ميدان الشعر الجاهلي ليرجح أخرى، كأن يطعن في نزاهة بعض الرواة، ليضع ثقته في البعض الآخر، ولو أنه قد عني بالايجابيات التي تؤكد إثبات صحة الشعر الجاهلي في معظمه أو في جزء منه بقدر عنايته بالأسباب السلبية التي تدعو إلى الشك.

¹ سامح كريم: تقديم ودراسة وتحليل لكتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين، ص23.

² المرجع نفسه، ص24.

ولو أنه اهتم بدراسة خواص هذا الشعر، وميزاته بقدر ما شغل بموضوع صحته، أو انتحاله لكان أقرب "ديكارت" و"لجان" وصف شكله بالمنهجية، أما إذا استسلم للشك، وانتهى إلى نتيجة سلبية فإن منهجه لا يمكن نسبه إلى ديكارت بأي معنى من المعاني.¹

وللحديث عن صحة الشعر الجاهلي والتشكيك فيه هو أن الشعر لم يصلنا إلا عن طريق الرواية الشفهية ... والدكتور طه حسين لا يتحدث عن هذا الجانب كما صنع في الجوانب الأربعة السابقة وهي أن هذا الشعر لا يمثل الحياة في العصر الجاهلي، وأن هناك اختلافا في اللغة، واختلافا في اللهجات، وأنه يستشهد به على ألفاظ القرآن الكريم والحديث، أنه يكتفي بأن يشير إليه إشارات عابرة لا يقف عندها طويلا وأن كان حديثه -أي طه حسين- يتضمن أثر هذا الدافع الأخير وهو الرواية الشخصية في نفسه، ولعل أصح وأوضح جملة عن هذا الأمر قوله: "وحسبي أن شعر أمية بن أبي الصلة لم يصل إلينا إلا عن طريق الرواية والحفظ لا شك في صحته كما شككت في شعر امرئ القيس والأعشى وزهير."²

كان لطه حسين أطروحته الشهيرة القائلة بعدم تحقق البحث العلمي إلا بتجرده عن "الأهواء الدينية والقومية" وذلك في كتابه الشهير أيضا "في الشعر الجاهلي"

هناك نقاط أربعة لطريقة ديكارت: "حسب ويليام":

1/ تتطلب الحقيقة تصور عرضها تصورا واضحا متميزا خاليا من كل شيء.

2/ الأشياء الممكن عرفانها موجودة بطبيعتها على سلاسل أو مجاميع.

3/ في تلك المجاميع ينبغي أن يبدأ البحث بالعنصر البسيط الذي لا يمكن تحليله

للأبسط منه منتقلا منه العناصر الأكثر نسبية وتعقيدا.

¹ سامح كريم: تقديم ودراسة وتحليل لكتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين، ص34.

² المرجع نفسه، ص39.

4/ لابد لحصول المعرفة في أكمل صورها من تقسيم الصلات والارتباطات الموجودة بين هذه العناصر وبعض تقسيم مستسقى بحيث لا يكون هناك فجوات بينها.¹

ب- طه حسين والمنهج التاريخي:

وذلك المنهج التاريخي الذي سمع به في دروس أستاذه "كارلونا لينو" حول الأدب العربي من الجاهلية إلى عهد بني أمية وكان ذلك سنة 1910م حيث حدثهم كثيرا عن تاريخ الأدب والتأريخ له وكيفية ذلك، أخبرهم بأنه سيطبق في دروسه ذلك المنهج المطبق في التأريخ للآداب الأوربية: "أن المطلوب ليس إلا أن أطبق على الآداب العربية أساليب البحث التاريخي التي عادت على تاريخ آدابنا إلا فرنجية بطائل عظيم."²

إن المنهج الذي اعتمده طه حسين هو المنهج التاريخي الحديث، الذي يختلف بالضرورة عن المنهج التاريخي القديم، فالمنهج التاريخي القديم يقدم على تجميع الأخبار والمعلومات والروايات، ونسبتها إلى أصحابها ثم سردها دون تحليل أو تعليل من منطلق احترام الماضي وتقديسه أحيانا.

أما المنهج التاريخي الحديث، فلا يكتفي بجمع الأخبار والروايات ونسبتها، وإنما يتعدى ذلك أساليب البحث والتحليل والاستقصاء الروايات بغية الكشف عن أسبابها ونتائجها، وبذلك تصبح مسألة نسبية، ويصبح الماضي يعامل معاملة الحاضر أي يدرس دراسة موضوعية.³

كانت دعوة طه حسين سنة 1914م إلى المنهج التاريخي الحديث صريحة، فقد وجه ضالته في هذا المنهج الحديث لإعمال فكره في دراسة الأدب العربي بعيدا عن أي تقديس فدعا الباحثين إلى العمل كما فعل هو.

¹ محمد أحمد الغمراوي: النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، مطبعة السلفية ومكنتبتها، القاهرة، 1929، ص119.

² عبد المجيد حنون: المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، دار بهاء الدين، الجزائر، ط1، 2010، ص253.

³ المرجع نفسه، ص254.

إن طه حسين كان على علم بالمنهج التاريخي إبان دراسته في الجامعة العربية الأهلية أي قبل دراسته بباريس التي درس فيها المنهج التاريخي البحث على "سينيوس" وغيره من المؤرخين الفرنسيين المحدثين ثم عرفه مطبقا في دراسة الأدب والتاريخ له عند الأخوين "كروزي ولانسون" الذي قعد للمنهج التاريخي في دراسة الأدب.

وبعد عودته من فرنسا، وتعيينه أستاذا للتاريخين اليوناني والروماني بالجامعة، كتب جملة من المقالات الأدبية، التي نشرها في مجلتي "السياسة" و "الجهاد" شارك بها في تلك المعارك الأدبية الشهيرة حول موضوع: "القدماء والمحدثون".

ثم واصل الكتابة حول مواضيع كثيرة ليجمعها بعد ذلك في كتابه الشهير "حديث الأربعة" بأجزائه الثلاثة.¹

تضمن هذا الكتاب مجمل الدروس والمحاضرات التي ألقاها 1925م على طلبة الجامعة ضمن مقرر "الأدب العربي" حيث اقتصر على موضوع "الشعر الجاهلي" وحده ليكون له متسع من الوقت في البحث والتمحيص والاستقصاء.²

إن طه حسين قد طبق منهج البحث العلمي الحديث في دراسة الشعر الجاهلي، فكان درس جديدا من حيث المنطلقات، ثم النتائج، وكان مدركا لذلك الإدراك كله: "هذا نحو من البحث عن تاريخ الشعر العربي الجديد، لم يألفه الناس عندنا من قبل وأكاد أثق بأن فريقا منهم سيلقونه ساخطين عليه، ولكني على خطأ أولئك أريد أن أذيع هذا البحث، أو بعبارة أريد أن أنقده، فقد أذعته قبل اليوم وحين تحدثت به إلى طلابي في الجامعة."³

وعلى ما يبدو أن طه حسين كان مدركا لنتائج عمله العلمية وغير العلمية وكان مقتنعا بذلك الاقتناع كله بل كان مصرا على اقتناعه، هذا غير عابئ بسخط الساخطين،

¹ عبد المجيد حنون: المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، ص255.

² المرجع نفسه، ص256.

³ المرجع نفسه، ص257.

لأن ما يهمه صور من تلك: "الطائفة القليلة من المستنيرين الذين هم في حقيقة الأمر عدة المستقبل وقوام النهضة الحديثة وذخر الأدب الجديد"، فكان طه حسين يجسد هذه الرؤية ويعمل على توضيحها في مجال الدرس الأدبي بدراسته "الشعر الجاهلي" دراسة تاريخية منهجية.

والنتيجة التي توصلنا إليها أن طه حسين لا يقبل آراء القداماء إلا بعد البحث والتثبت، اللذين قد يوصلان الباحث إلى الحقيقة، فإن لم يصل إليها فسيتقرب منها على قدر ما أمكن على حد تعبير "لانسون" قبله أن في وسعه بعبارة أخرى دراسة "الشعر الجاهلي" على الطريقة التقليدية فيكرر فيها الآراء المألوفة، ويقول أصاب فلان وأخطأ فلان، وبذلك تبقى الأمور على حالها، ولكنه أراد التعبير، وخلخلة الواقع الثقافي، فأختار لذلك طريقة المجددين الذين لا ينطلقون من رأي ملم به، ولا يثقون في إجماع القداماء، وبالتالي فهم يتساءلون: إن كان شعر جاهلي؟ فإن كان هناك شعر جاهلي فما السبيل إلى معرفته وما هو؟ إنها جملة من التساؤلات ترجع إلى الخطوات العلمية الأولى التي أوصى بها "لانسون" بإتباعها في دراسة الأثر العربي وهي جهود كبيرة قد لا يستطيع فرد واحد القيام بها، ولكن تضافر الجهود في عمل جماعي كفيل بالتغلب عليها، حسب طه حسين وحسب أستاذه "لانسون" قبله.¹

إن النتيجة التي نخرج بها من هذه التساؤلات وغيرها: "أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، إنما هي منتحلة مختلفة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهوائهم أكثر ما تمثل حياة الجاهليين".²

وكان مصدر هذه التساؤلات منطلقا واضحا اقتنع به وأراد تطبيقه، اقتداء بالأوربيين الذين طبقوه منذ زمن في العديد من العلوم والفنون حيث يقول: "أريد أن اصطنع بالأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكارت للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر

¹ عبد المجيد حنون: المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، ص 258.

² المرجع نفسه، ص 259

الحديث، والناس جميعا يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعمل به من قبل وأن يتقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما. " وراح يدعو إلى الأخذ بهذا المنهج في دراسة الأدب العربي القديم والتأريخ له، وذلك بضرورة نسيان الباحث قوميته وكل مشخصاته، ودينه وكل ما يتصل به، وأن لا يتقيد بشيء ولا يذعن لشيء إلا لمنهج علمي صحيح.

(3) أصول النقد الأدبي عند طه حسين:

أ- المجتمع والبيئة:

الإنسان إن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها، فهو عنصر من العناصر المهمة في أي عمل أدبي، ولهذا جعلها طه حسين أولى العناصر والأصول التي يبني عليها طه حسين دراسته الأدبية ونقد عنصر المجتمع والبيئة وأثارها في الأديب ومدى تعلقه ببيئته ووفائه لمجتمعه في أدبه، من حيث التزامه به أو تعاليه عليه، فيقول: "ألفنا أن ندرس الشعراء والأدباء، نبحث عن أشخاصهم، وربما الهانا ذلك عن اوان أخرى من البحث هي أعظم خطرا من أشخاص الشعراء، وهي الظروف البيئية التي يعيشونها."¹

فالشاعر أو الكاتب لا يستمد أدبه من شخصه وحده، وإنما يستمد أكثر منه، وأكثر شخصية من أشياء أخرى ليس له حيلة فيها، ويطبق طه حسين هذا المنهج في دراساته شعراء الغزل في الحجاز، والشعراء العباسيين في "حديث الأربعاء" يقول عن حديثه عن أثر البيئة في شعر أبي نواس وعمر ابن أبي ربيعة: "فلست أعرف شاعرا إسلاميا، استطاع أن يمثل العصر الذي يعيش فيه، والبيئة التي كان يحيا فيها كهاذين الرجلين الذين نستطيع أن نتخذهما مرجعا في درس الجماعة التي كانت تحيط بهما، تريد أن تدرس العراق صدر الدولة

¹ طه حسين: حديث الأربعاء، ج1، دار المعارف، مصر، 1972، ص130.

العباسية ونوع من أنواع حياتها، ولونا من ألوان من شعورهما وذوقها وتفكيرها، وانعكاس صورة الحياة في نفوسها.¹

هذه هي نظرة طه حسين إلى كيفية تأثير المجتمع والبيئة في الأدب وهو تأثير يجب أن يأخذ بعين الاعتبار عن ما نتعرض للإنتاج ما بالنقد.

ب- طه حسين وصدق التعبير:

شغلت قضية الصدق الفني عند طه حسين جانبا من نقده حيث تربعت على عرش القيم عنده، فالصدق معيار من المعايير التي اعتمدها في نقد كغيره من المعايير التي اعتمدها في نقده كغيره من المعايير التي تزوج بين حياة الشاعر أو الأديب وبين شعره أو إنتاجه قدر المستطاع.

وليس الصدق هو التلاؤم في التعبير بين أسلوب الشاعر وعصره، بل في حسن التعبير عن نفسه وعاطفته، فهو إنسان يعيش في مجتمع يصور أحاسيس هذا المجتمع وحياة عصره باعتباره واحد من هذا المجتمع، وهو إنسان كذلك له أحاسيسه الخاصة وعواطفه، يقول في نقده لشعر "حافظ إبراهيم" "الشعر الجديد يمتاز قبل كل شيء بأنه مرآة لما في نفس الشاعر من عاطفة، مرآة تمثل هذه العاطفة تمثيلا نظريا بريئا من التكلف ... فإذا خلت نفس الشاعر من عاطفة أو عجزت هذه العاطفة على أن تتطلق لسان الشاعر بما يمثلها، فليس هناك شعر، وإنما هناك نظم لا غناء فيه، ولست أدري أخلت نفس حافظ من العاطفة على أن تجري على لسان حافظ بالشعر الجيد."²

¹ طه حسين: خصام ونقد، دار العلم، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص41.

² طه حسين: حافظ وشوقي، منشورات الخازجي وحمدان، القاهرة، مصر، د/ت، ص109.

وليس معنى تمثيل الشعر لعاطفة معينة أو للأحاسيس صاحبه ومشاعره، أنه ينبغي للناقد أن يقضي أحاسيس الشاعر، فمثلا عندما تدرس بغداد أيام الرشيد فلترجع إلى أبي نواس، وتريد أن تدرس حياة الحجازي في صدر الدولة الأموية فارجع إلى ابن أبي ربيعة.¹

لذلك يرى طه حسين أن الأدب صورة للحياة، يمكن دراستها من خلال النص، وقد أخذ في دراسته الأدبية ونقده المنهج الاجتماعي الفرنسيين وخاصة منهج "دركايم" الذي تأثر به، حيث كان مشرفا عليه حين قدم رسالته للجامعة الفرنسية عن "ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية"، بل أنه أكد بأن التعرف على مجتمع معين يكون عن طريق ما أنتجه من أدب، ويرى الاهتمام بالشعر أكثر من الاهتمام بالمشاعر، وحاول أن يعرض صورة لذوق الأدبي في مطلع القرن العشرين، فمزج بين الحالة السياسية والأدبية للمجتمع وأثر ذلك على أدب الرحلة "هذا الذوق الذي يؤثر في الأدب بصورة تلقائية عن طريق تأثيره في الأديب فإن من صدق التعبير أن يحسن الأديب التعبير عما يدور في صدور الناس وعما يختلج نفوسهم."²

يوصل طه حسين عرض وجهة نظره فيما يراه بعض النقاد، من ضرورة ارتباط الأديب بمجتمعه ارتباطا واقعيا يعكس قضاياها، ويكون له دور ايجابي يدفع بقومه إلى التطور حيث يقول: "قالذين يقولون يجب أن يكون الأدب للحياة، ويظنون أنهم يقولون شيئا جديدا، لا يقولون في حقيقة الأمر شيئا ويخطئون حين يظنون أنهم يبتكرون شيئا لم يألّفه الناس منذ أقدم العصور، فكل أدب في اية أمة من الأمم أنا يصور نوعا وبيحث عن عواطفه التي ثارت وعكسها في شعره، وعن أصول هذه العواطف في صور مختلفة من التحليل، تتداخل أحيانا مع الدراسات النفسية، فطه حسين لا يميل إلى هذا الضرب من النقد الذي يخرج من النص إلى صاحبه بصفة خاصة، وما يفتعل بداخلها، وما يضطرب من الغرائز والعقد النفسية وما إلى ذلك.

¹ محمد زغلول سلام: النقد الأدبي الحديث اتجاهاته رواته، ص356.

² المرجع نفسه، ص359.

وهكذا نرى أن الناقد قد يحتاج للحكم بالصدق إلى ضوابط موضوعية هي الحلم بطبقات الإحساس والعواطف والخيال، أو بمعنى آخر منطق الإحساس، ومنطق العواطف ومنطق الخيال وإلا ستموت الفنون في الجودة حتى استوت في الصدق، ثم لا عبرة بعد ذلك لاختلاف مستويات الإحساس والوجدان بين الشعراء والأدباء، فحسب الشاعر من صدق، ثم لا ينازع بعد في درجة الإحساس من السمو والانحطاط.¹

هذا المعيار لم يصدق مع طه حسين إلا لقدرته على التدقيق ولكنه لا يضيف جديدا في العلم بالأدب أو بمعايير النقد، وإلا فأبي معيار لصدق تستطيع أن نخرج به من قوله: "قلم يكن أبي نواس مؤثرا لصدق لأنه صدق ولم يكن واعضا ولا ناكسا، ولم يكن حكيما يبشر بالحكمة ولا فيلسوفا يدعوا إلى الفلسفة، وإنما كان شاعرا يصدق في شعره، ويجب أن يتحدث إلى الناس بما يفهموه، فينال موضع الإعجاب والفتنة، كان يحب الصدق حبا علميا أو قل يحب الصدق حبا فنيا."²

وقس على هذا القول ما عداه مما لا تخرج منه بطائل يكشف لك عن آراء الصدق الفني أو يسير لك أغوار سيرا نستطيع معه أن تخرج بجديد واضح المعالم إضافة إلى النقد الأدبي في هذا الصدق وأخيرا يمكن القول أن رؤية طه حسين الصدق في التغيير كانت رؤية موضوعية.

ج- اتجاهه الجمالي الذوقي في النقد:

يرى الجمال وحدة لا يختلف حولها حيث يقول: "ذلك لأن القديم والجديد لم يستمدا جمالهما الفني من القدم والجدة وحدهما، وإنما استمداه من هذه الروح الخالدة التي تتردد في طبقات الإنسانية كلها ... وهي تشكل في كل جيل بالشكل الذي يلائمه وتتصور في كل بيئة بالصورة التي تناسبها وهي من هذه الناحية مصدر وحدة، وفرقة الإنسانية مصدر وحدة،

¹ حلمي مرزوق: تطور النقد التفكير الأدبي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1983، ص 485.

² طه حسين: حديث الأربعاء، ج2، دار المعارف، مصر، 1976، ص 94.

لأنه يجمع الناس مهما اختلفوا على الإعجاب والشعور باللذة القوية ومصدر فرقة لأن له من لأشكال للأجيال والبيئات المختلفة ما ينوعه ويحيل إليه أنه كثير.¹

كان هذا قوله في كتاب "حافظ شوقي" وقد أعاده مرة أخرى في كتاب "... ونقد" بالباح وكرره وفصل فيه حيث يقول: "... أظن أن هذا كله يكفي لتبيين ما أردت تبينه من اختلاف كالأدباء جميع العصور حول الجمال أين يكون، ومن أين يأتي، ولكنهم متفقون دائماً على أن الأدب لا يكون إلا جميلاً لأن طبيعته تقتضي ذلك، وهو لم يوجد إلا لسمو بالنفس إلى حيث تشهد المشاهد الرفيعة من الجمال، شأنه في ذلك شأن غيره من الفنون، فأنت لا تدري من أين يأتي جمال الصورة التي تروك أيأني من اللون أم من شيء آخر وراء اللون، وما عسى أن يكون هذا الشيء."²

ومن هنا نستنتج أن طه حسين يربط بين الجمال والأدب فإذا وجد الحمال في الكلام كان الأدب، إذ أن طه حسين يفضل أن يأخذ الأدب كما نأخذ الموسيقى والنحت والتصوير على أنه متعة لروح وغذاء للقلب والعقل، ويرى أن جمال الأدب يكون في الألفاظ والمعاني وفي النظم والأسلوب أو في هذا كله، حيث أن الأدب في آخر الأمر فن من الموسيقى يتألف من هذه الأشياء كلها: من الألفاظ والمعاني والأساليب وما يعرض من يعرض من صور وما يثير من عواطف وما يبعث من شعور.

نلاحظ أن جمال الأدب شيء شائع لا يستطيع أحد أن ينكره أو يقول أنه ينحصر في اللغة أو في المعنى أو في الأسلوب، ويتضح كذلك أن طه حسين لا يربط بين صورة الأدب ومضمونه، فهو يعتمد في الأدب مهما كان موضوعه ملائماً للحقيقة الأخلاقية أو منافياً لها، لهذا فهو يهتم بالأسلوب لأنه مظهر للأدب، فيقول: "ونحنظ بالمقاييس التي احتفظت بها

¹ طه حسين: حافظ وشوقي، ص 120.

² طه حسين: خصام ونقد، ص 85.

دائماً في نقد ما ينتج الكتاب والشعراء، صحة المعنى واستقامته، وطرافته وجودة اللفظ ونقاؤه، وارتفاعه عن الركافة والاسفاف على أقل تقدير.¹

د- الأسلوب أو المعيار البياني:

يعد الأسلوب بمثابة صورة الأديب ومرآة تعكس تجاربه ويختلج في نفسه، لهذا يجب أن تكون هذه الصورة بسيطة غير متكلفة وغير كاذبة أو مخادعة، وقد أصر طه حسين على تأكيد هذه المعاني جميعاً أثناء تعرضه أو نقده لنتاجات الأدباء، فطه حسين مثلاً يحمل على شوقي في قصيدته حين قال:

الله أكبر في الفتح من عجب *** يا خالد الترك جدد خالد العرب

فيقول أنه ضحك عندما سمع هذه القصيدة، كما شعر بالأسى كذلك فسبب ضحكته هو أن شوقي قام بقياس مصطفى كمل أتاتورك بخالد بن الوليد، ولم يدرك إن كان مدحه أم ذمه حين قارنه إلى الفاتح العربي القديم، أما سبب شعور طه حسين بالأسى حين قرأ هذه القصيدة، فهو يعتبرها أصدق دليل على حيز القديم في تصوير الحياة الحديثة، وفشل الشعر العربي العصري في التعبير عما قصد إليه من امتاع النفوس وشعورها بلذة الجمال الفني، وقد أبدى رأيه هذا بناء على أن شوقي لم يلاءم بين أسلوبه وعصره، ولم يصدق في الانفعال والتجاوب مع تجاربه الشعرية.

بعد شوقي انتقل طه حسين إلى الراجعي، فيعيب عنه الغموض والتكلف الشديدين، ويرى أن مثل هذا الأسلوب الذي يكتبه الراجعي لا يوافق العصر، ولا يوافق الراجعي نفسه باعتباره أديباً يعيش في هذا العصر، فلا ينبغي أن يصطنع أسلوباً لا يوافق عصره.

كان الراجعي قد نشر في جريدة "السياسة الأسبوعية" رسالة على النمط القديم، قدم لها يقوله: "وقد كتبتها من النمط القديم الأول الذي هو فن من زينة البلاغة العربية يشبه بعض

¹ طه حسين: حديث الأربعاء، ج3، ص197.

فنون الزخرفة والتنسيق، وهو حين يكون في هذه الرسالة لا يكون أبدع منه شيئاً من الأساليب الأخرى" وبعد ذلك يورد رسالته وقد لفتت هذه المقدمة نظر طه حسين وعلق عليها في نفس الجريدة بقوله: "أما أنا فأعذر للكاتب الأديب إذا أعلنت مضطراً أن هذا الأسلوب الذي ربما راق أهل القرن الخامس والسادس للهجرة، لا يستطيع أن يروقها في هذا العصر الحديث الذي تعير فيه الذوق الأدبي."¹

يرى طه حسن أن اللغة والأسلوب يكونا ملائمين للحياة، ويلزم على الكاتب أن لا يكتب على نفسه وعلى معاصريه، أي لا يتكلف فيما يقول للوصول إلى الكمال الأدبي.

يتجه طه حسين هذه المرة إلى أسلوب العقاد، حيث أنه لا يرضى عليه، لأن فيه تكلفاً وتعقيداً من نوع آخر ما عرض له في أسلوب الراجعي، فالعقاد وإن كان يكتب بأسلوب عصري لا أثر فيه للتصنيع والتزويق البلاغي إلا أنه يتكلف فيه تكلفاً غير الذي عاهدناه، وذلك الرأي هو الذي يضايقه، يقول: "أعجبت بتوفيقه إلى التفرقة بين حاجات القدماء والمحدثين، وأعجبت بدقته في فهم الهزل الأدبي، والأدب الذي هو هزل كله، أعجبت بهذا كله إعجاباً لا حد له ولا تحفظ منه، لولا أن لغة الأديب لا ترضيني من كل جهة ففيها إهمال، وهي لا تخلو من غموض مصدره أن عقل الأستاذ أطول من لسانه."²

فطه حسين يهتم بأن تكون لغة الأديب لغة صافية منتقاة تجري وفق قواعد اللغة الفصحى، لأن أي خلل قد يؤدي إلى تشويهها، ومن ثم إلى تشويه الأسلوب والنيل من رونقه وجماله، ومن ثمة من متعة القارئ وهي الأهم، لأن القارئ لا يجد متعة فيما يقرؤه فيتخلى عنها لحد أنه غير مرتاح فيها.

¹ محمد زغلول: النقد الأدبي الحديث اتجاهاته ورواده، ص372.

² طه حسين: حديث الأربعاء، ج3، ص101.

هـ- حرية الأديب:

تتفرع هذه القضية عن الصدق، فالأديب لا يصدر عن الحرية ينحرف لا محالة عن الصدق، وتسلمه قيود العرف إلى التلفيق وما شابه ذلك من الكذب واصطناع المشاعر والأحاسيس، وهذا حق لا مراد فيه، وأجمع النقاد عليه من الأدباء والمثقفين، إلا أن طه حسين لا يلح على هذه القضية إلا من جهة العواطف والوجدان، وينبغي على الناس الالتزام بقيود العرف والدين.

فأبو نواس وأمثاله لم يبلغوا ما بلغوه من النفوس إلا باقتحام هذه العقبة وفك تلك القيود: "فلقد كانت الحضارة المادية تدفع العرب إلى الأمام، وكذلك حياة الذين نجذبهم إلى الوراثة".¹

وهؤلاء الشعراء هم أول من استجاب لدواعي التطور والنزول على حكم هذه الحضارة والاستماع بملائها بما يرضي الدين وما لا يرضي عنه الدين.

فتجربة الأديب لا جدال في إطلاقها، ولكن الخطأ في حصرها مع عاطفة الهوى ووجدان الشك والمجون، كما أن الجانب الفني لهذه المشكلة يقع في طبيعة هذه المواصفات وما تتطوي عليه، فالقاعدة الأخلاقية ليست على هذا الجهود المزعوم، وإنما وراءها آفاق الفنان ليس إيصال التجارب كما يقول، وإنما أن يحمل الناس على الإيمان بتجاربه وأن يلزمهم قيمة في العمل والتطبيق، وسيظل صحيحاً إلى مدى بعيد ما اصطاح عليه الرومان من أن الشعر إيصال الحقيقة تحت سار من اللذة.²

¹ حلمي مرزوق: تطور النقد والتفكير الأدبي، ص 377.

² المرجع نفسه، ص 377.

و- الخيال:

يرى طه حسين الخيال عنصرا من عناصر الصورة الأدبية ويناقش موضوع الخيال حين يعترض على نقد العقاد لخيال المعري فيقول: "وما الخيال؟ أما إذا كان الخيال ملكة تمكن الشاعر أو الكاتب من أن يخترع شيئا من لا شيء، أو يؤلف شيئا من أشياء لا إتلاف بينها فلم أبو العلاء على حظ من الخيال لأنه لم يخترع في رسالة الغفران شيئا من لا شيء، ولم يؤلف بين متناقضين ولكننا نعلم أن علماء النفس لا يسمون هذه الملكة خيالا، وإنما يسمونها وهما، وهو ينبؤوننا أن الخيال لا يخترع شيئا من لا شيء، وإنما يستمد صورة ونتائج من الأشياء الموجودة، يؤلف بينها تأليفا غريبا يبهر النفس ويفتتها، وإذا كانوا صادقين فحفظ أبي العلاء من الخيال في رسالة الغفران لا حد له."¹

كما يعترض طه حسين على مغالاته على محمود طه في خيالاته الشعرية فيقول: "وأحب بعد هذا كله أن أخاصم الشاعر في بعض مذهبه في الشعر، فهو يغلو في الخيال أحيانا حين يتجاوز المؤلف ويتورط تورطا فاحشا، فيما عاب النقاد به أبا تمام فهو يجسم ما لا سبيل إلى تجسيمه، وليس بذلك إذا لم يسرف فيه الشعراء ... أما شاعرنا فيغلو فيها غلو فاحشا، وما رأيك فيمن جسم الليل حتى جعل له أوصالا وعروقا وأجرى في هذه العروق دما."²

فمن خلال هذين المثالين يظهر مدى اهتمام طه حسين بالصورة الأدبية وبجوانبها المختلفة، حيث يرى أن الأدب صورة مشرقة من المعاني والألفاظ والخيال المشرق الجميل، من هنا يتضح أن طه حسين يذهب في هذا الرأي مع القائلين بأن الفن للفن، بغض النظر أو دون اعتبار لموضوع الفن ساميا أو منحطا، يتماشى مع العرف والأخلاق أو لا يتماشى،

¹ طه حسين: حديث الأربعاء، ج3، ص104.

² المصدر نفسه، ص148.

يخدم المجتمع أو لا يخدم المجتمع، وقد ظهر صدى أرائه تلك في مناقشات كثيرة بينه وبين نقاد عصره، وكذلك في دراسات له متقدمة وأخرى متأخرة.

من كل ما سبق يتضح أن طه حسين يولي اهتماماً للخيال، ونلاحظ هذا من خلال دراساته ونقده للكتاب والشعراء، لكن نظريته لموضوع الخيال كانت منحصرة فقط في مدى تصوير الشاعر أو الكاتب للمعاني.

ي- النزعة التأثرية:

إن طه حسين رجل تأثري لا تصبر طبيعته على البحث الدقيق المتأنى، وإنما هو الذكاء اللماح، والطبيعة الفنية المرهفة، وهو عصب التأثرية على وجه العموم، فطه حسين خير وسيط بين الملهم.¹

ويكشف لنا هذه الطبيعة بوجهها برده على دعاة التحليل النفسي فيقول: "وحيث من إنفاق الجهد في المحاولات أن ينفق الأستاذ أو أنفق أنا ما تملك من جهد في المدرسة الفنية الأدبية لشعر أبي نواس وغيره من القدماء."²

يوضح لنا طه حسين أبعاد هذه النزعة وموقفه فيها بما لا يحتاج إلى مزيد، فهو يقرأ الأدب بذوقه وقلبه، وبكل ما أتيح له من طبع، كحبه للجمال، وطموحه إلى مثله العليا، والكاتب المجيد عنده هو الذي لا يكاد يصاحبه لحظات حتى بنسبة نفسه، ويشغله عن التفكير، ويصرفه عن التحليل والتعليل والتأويل.

¹ حلمي مرزوق: تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، ص 486.

² طه حسين: خصام ونقد، ص 106.

ولا شك أن هذه النزعة وليدة الإحساس الداخلي بمستويات القول، تبلغ غاياتها المنشودة بالأحكام المجملة، صنيع القدماء من النقاد، ولا يرى طه حسين في ذلك إغراباً ولا نشوذاً، وإنما هو الجهل والقصور الذي يقف بالمحدثين موقف الاستغراب.¹

يقول طه حسين: "وأنا لا أرى في هذا إغراباً ولا شذوذاً، ولا سبيل إلى الإغراب والشذوذ، وإنما أذهب في هذا مذهب الذين هم بالشعر علم من القدماء وأزعم أن المحدثين سيذهبون هذه المذهب يوم يكون لهم بالشعر علم."²

وترى التأثرية أن النص الأدبي لا يحتمل تفسيراً واحداً، ولا يمكن أن يكشف عن أسراره لناقد واحد، أو قراءة واحدة، إن الغموض من طبيعة النص الأدبي، والذي يريده أن يكون واضحاً تماماً، لأن الغموض هو أيضاً سر الجمال في الأدب، يقول أناتول فرانس: "إن الأشياء التي لا تتراءى لنا أكثر جمالاً وأكثر جذباً، هي على وجه الدقة هذه التي تبقى دائماً غامضة لدينا وهي جزء منها سر الجمال ... والعبقرية ستحتفظ دائماً بسرهما."

والذي يهم الناقد التأثري هو أن يفسر العمل الأدبي كتعبير عن الإحساسات والمشاعر التي تجيش بها نفس الكاتب وأثر هذه الإحساسات والمشاعر على الناقد نفسه، وعلى قدر هذا الأثر يكون حكم الناقد، وهو حكم الناقد، وهو حكم لا ينكر أصحاب هذه المدرسة أنه ذاتي بحت، ولكنهم لا يرون عيباً في ذلك لأنهم لا يرون عيباً في ذلك، لأن العمل الأدبي نفسه في نظرهم، وإنما هو تعبير مباشر عن الذات، الذي جعل طه حسين رجل الأدب والإصلاح الاجتماعي لا يعجب بشخصية المنتبى أن هذه النزعة تخلط أحكامهم الأدبية بأحكام خلقية.

¹ حلمي مرزوق: المرجع السابق، ص 466.

² طه حسين: حديث الأربعاء، ج 1، ص 266.

معارضته لمنهج التحليل النفسي في النقد:

عارض طه حسين الدكتور العقاد جعل علم النفس التحليلي كمقياس يطبق على الأدباء وخاصة القدماء، لأن في رأي طه حسين القدماء لا يصلحون موضوعاً لتحليل النفسي، فهو غير مؤمن بالعبادات النفسية التي بدأت تنتشر بكثرة هذه الأيام، حيث تراه يرفض ويشدة أن يخضع أبو نواس لهذا النوع من التحليل النفسي، وهذا واضح من خلال قوله: "والذي أريد أن أصل إليه من هذا النوع كله هو أنني حين أنكرت إخضاع أبي نواس لهذا النوع من التحليل النفسي، كنت أعلم حق العلم ما كنت أقول، وكنت أعمد إليه من إرادة وبصيرة وثقة، لأنني أرى أن كل ما ينتج من إخضاع القدماء لهذا التحليل ضرباً من الظن لا يرقى إلى العلم، ولا ينتمي بأصحابه إلى اليقين، ولا يلزم قراءه الاقتناع به وال..... إليه، وما زلت أرى هذا الرأي لم يصرفني عنه الأستاذ العقاد، وما أرى أنه سيصرفني عنه الآن على أقل تقدير... وهنا لا نستطيع أن نستغني عن نتائج علم النفس سواء أقام على التجربة أم على الملاحظة، وأقول علم النفس ولا أقول التحليل النفسي فالفرق بين هذين النوعين واضح، أحدهما وهو الأول علم لا شك فيه، والثاني محاولة فهم تصبح بعد علم."¹

من خلال هذا القول نستنتج أن طه حسين يعارض كل النقاد الذين يوظفون منهج التحليل النفسي عند دراستهم لأديب أو لشاعر ما، فهو يرى أن توظيف مثل هذا النوع من التحليل لا يأتي بشيء جديد، ولا يصل بصاحبه إلى الحقيقة، التي لا شك فيها، بالإضافة إلى أن هذا التحليل لا يلزم القراء أن يقتنعوا به، وهذا خاصة عند تطبيقه على القدماء.

ونجده كذلك يعترض على النويهي لإتباعه نفس المنهج في دراسته لأبي نواس أيضاً، حيث يقول: "ثم هو لم يكتف بهذا الدرس العنيف لشعر أبي نواس البائس، وإنما منع هذا الصنيع نفسه بفلسفة فرويد وبكثير من الدراسات العلمية التي قام بها جماعة من العلماء... ولم يكتف بها كله، ولكنه جمع ما استخلصه من ككل هذه العصارات المختلفة، عصارة أبي

¹ طه حسين: خصام ونقد، ص 106.

نواس، عصارة فرويد ومخضها مخضاً، واستخرج منها كائناً غريباً عرضه علينا في كتابه هذا وسماه أبا نواس.¹

وقد قال هذا طه حسين عندما فرغ من قراءة كتاب "نفسية أبي نواس" للدكتور محمد النويهي، أستاذ الأدب العربي بكلية الخرطوم الجامعية، إذ يصور لنا هذا الكتاب جهداً عنيفاً في البحث والاستقصاء.

ويواصل طه حسين عرض رأيه حول هذا المنهج فيقول: "والعلماء المعاصرون لم يطمئنوا بعد كل الاطمئنان إلى نظريات فرويد، ولا ما نشأ عنها من فنون التحليل النفسي الذي أصبح شائعاً في أوربا، وهام به الأمريكيون هيما شديداً، فكيف وأنا لست مطمئناً إلى أن أصحاب فرويد وأصحاب التحليل النفسي يرضون عما صنع الأستاذ بنظرياتهم حين حاول أن يطبقها على شاعر قديم لم تكد نعلم عن حقائق حياته شيئاً ذا خطر."²

فطه حسين من خلال هذا القول يريد أن نتذوق فقط جمال أدب الأدباء خاصة القدماء منهم، كأبي نواس ونستمتع بما فيه من روعة وجمال، ولا حاجة لنا من تحليل أنفسهم خاصة، إذ كنا نعلم شيئاً مميزاً عن حياتهم، وليس بحوزتنا دليل عنها، كذلك يفضل أن يدرس الأديب والشعر دراسة الأديب الناقد، وليدع التحليل النفسي لأصحابه الهائمين به والغارقين فيه.

هذه المعايير التي اصطنعها طه حسين في دراساته النقدية لا يكاد يستقيم له منها إلا النزعة التأثرية التي تلتئم مع طبيعته الفنية، وهذه النزعة قديمة عند العرب تقوم على العلم بالشعر، وليس في وسع الناقد شيء من هذا القبيل إلا إذا وقع على سر العربية واستنشق روح اللغة وذلك ما لا يستطيع ناقد أن يأتي طه حسين من جهته على الرغم مما أثير حوله.³

¹ طه حسين: خصام ونقد، ص 223.

² المرجع نفسه، ص 226.

³ حلمي مرزوق: تطور النقد والتفكير الأدبي، ص 389.

لقد استفاد طه حسين من العرب فائدة ليس فيها شك، وهذه الفائدة لا تتضح فقط في أسلوبه وفكره ونقده، لكنه لم ينتكر للأدب العربي في قراراته وأن ألبس لباسا ظاهرا من النقد الأوروبي، وهذه مزية الروح العلمية، فطه حسين قديم جديد في أحكامه المجملة المجزئة.¹

وخلاصة القول أن طه حسين ناقد ذواق يثور على القوانين والنظم الأهم عنده والتي تقوم على ما يمليه عليه ضميره، وما يراه أنه حق، فنقده خال من كل الاعتبارات العاطفية، كان موقفه هذا موقف "سانت بيف" حين أعلن على الناس آخر أيام حياته أنه قاض لكن بدون قانون.

¹ حلمي مرزوق: تطور النقد والتفكير الأدبي، ص 490.

الفصل الثاني: أهم القضايا التي تناولها طه

حسين كتاب في الشعر الجاهلي.

أولاً: وصف المدونة شكلاً ومضموناً.

1- سيمياء الغلاف الخارجي.

2- المدونة من الداخل.

3- خطة الكتاب.

ثانياً: أهم القضايا التي عالجها الكتاب.

1- الانتحال عند طه حسين.

2- أسباب الانتحال عند طه حسين.

3- بعض الشعراء الذي شكك في شعرهم.

أولاً: وصف المدونة شكلاً ومضموناً.

1- سيميائية الغلاف الخارجي:

الورق من الحجم المتوسط- يتكون الغلاف الخارجي من واجهتين، واجهة أمامية التي كتب عليها اسم المؤلف وعنوان الكتاب، والعنوان جاء باللون الأسود الذي يدل على الفخامة الرسمية والأناقة والغموض، ومما زاده وضوحاً وتبيناً كتابته بخط عريض خشن، يلعب دوراً مهم في لفت الانتباه، والترتيب الذي اعتمده طه حسين له دلالاته الجمالية، فقد وضع العنوان في أعلى الصفحة ليعطي انطباعاً مختلفاً عند الانطباع الذي يضعه في أسفل الصفحة، فهو يعتمد على الطريقة الحديثة، لأن أغلب الكتب الصادرة حديثاً تضع اسم المؤلف دائماً في الأعلى.¹

أما الغلاف الخارجي فجاء بلونه الأبيض، لم يكتب عليه أي شيء واللون الأبيض يعبر عن الامتداد اللانهائي، له دلالات كثيرة كالنقاء والصفاء والنظام، كما يوحي بالاتساع، على الرغم من أن أغلب الكتب النقدية تحتوي خلفيتها على صورة المؤلف وتلخيص الكتاب، أو كلمة للناشر والمعلومات الخاصة بالكتاب والطبعة، وتاريخ النشر وغيرها.

2- المدونة من الداخل:

يقع الكتاب في 123 صفحة، في الصفحة نجد المعلومات الخاصة بالكتاب كالعنوان واسم المؤلف والطبعة، احتوى الكتاب على إهداء خصه الكاتب لصاحب الدولة (عبد الخالق باشا) على الرغم من أن أغلب الكتب النقدية الحديثة لا تحتوي على إهداء، ثم جاء بعد التمهيد الذي قسم إلى عدة فقرات.

¹ حميد الحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص60.

الفقرة (01):

تحدث عما تناوله بحثه حول تاريخ الشعر العربي الجاهلي، والوقوف عليه من خلال دراسات تطبيقية، والهدف من وراء هذا البحث هو التأسيس النظري لذخر الأدب العربي، ثم تحدث عن الأدب العربي، الشعر الجاهلي وما شغله من دراسات، وعبر عن قلبه إزاء أنه لم يكن منتبعا لكل ما ينتج في العالم العربي في مجاله بحثه.

الفقرة (02):

قسم الدارسين والكتاب إلى مذهبين، الأول يدع كل شيء بأن يقبل في الأدب وتاريخه وما قال القدماء كالأصمعي والكساني، لا يناله تغيير ولا تبديل ولا يمسه في جملة وتفصيله إلا مسار رفيقا، أما المسار الثاني فيقلب العلم القديم رأسا على عقب.

الفقرة (03):

تحدث عن هدفه من هذه الدراسة باستشهاده بشيء من الأمثلة، حاول من خلالها تبيان أن الأدب القديم كله صالح لأن يخضع للمناهج العلمية الحديثة والتخلي عن العواطف القومية والدينية، من خلال اتباع المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكرت الشك للبحث عن حقائق الأشياء.

الفقرة (04):

يبين رفضه لشعر الجاهلي على عده فروض من بينها الشعر الجاهلي لا يمثل العصر الجاهلي تمثيلا كاملا، ولا يصور بيئته تصويرا صادقا، وأن القرآن الكريم يمثل حياة الجاهليين السياسية والاقتصادية والاجتماعية أفضل مما يصورها الأدب الجاهلي، وأن ما يعرف بالشعر الجاهلي لم يقدم سوى صورة غامضة وبريئة من الشعور الديني القوي والعاطفة الدينية القوية وفي الأخير خاطب صاحب الدولة "عبد الخالق باشا" مبينا له هدفه

من هذه الدراسة وما يريد الوصول إليه في الأخير، وذكر المنهج الذي اتبعه في البحث، هو منهج -الشك عند ديكرت-.

3- خطة الكتاب:

حاول طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي" إعادة النظر للشعر الجاهلي وشعراءه من خلال اتباعه للمنهج الديكرتي، منهج الشك للوصول إلى اليقين، كما بين أسباب شكه وأقامها على حجج، سعيًا منه للوقوف على الحقيقة وعرضها على القراء ممن تمسكوا بصحة الشعر الجاهلي ونسبتها إلى شعرائهم، وقد أثار ذلك ضجة كبيرة وأسأل أقلام كثيرة، وأوجد آراء عديدة تتفق في شيء، وتختلف في آخر، ولعل هذه الضجة التي أثرت ضد طه حسين دفعته إلى تغيير رأيه في بعض القضايا التي تناولها في كتابه، فقام بحذف فصل وغير عنوان الكتاب إلى "في الأدب الجاهلي" وكان ذلك سنة 1927م، وقد بين طه حسين شكه في مباحث عرضها في كتابه هذا "في الشعر الجاهلي" والذي جاء مقسم إلى ثلاث فصول:

الفصل الأول:

- تمهيد..
- منهج البحث.
- مرآة الجاهلية يجب أن تلتمس بالقرآن لا في الشعر الجاهلي.
- الشعر الجاهلي واللغة.
- الشعر الجاهلي واللهجات.
- الفصل الثاني: أسباب انتحال الشعر الجاهلي:
- ليس الانتحال مقصورا على العرب.
- السياسة وانتحال الشعر.

- الدين وانتحال الشعر.
 - الشعوبية وانتحال الشعر.
 - الرواة وانتحال الشعر.
 - الفصل الثالث:
 - قصص وتاريخ.
 - امرؤ القيس، عبدة علقمة.
 - عمر بن قميته، مهلهل جليلة.
 - عمر بن كلثوم، حارث ابن حلز.
 - صرفة بن العبد، المتلمس.
- ثانيا: أهم القضايا التي عالجها الكتاب.

1) الانتحال عند طه حسين:

عبر طه حسين عن قضية الانتحال في كتابه "في الشعر الجاهلي" معبر من ذلك بقوله "إن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا، ليس من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة مختلفة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم أهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهلين".¹

وفي تناوله للشعر الجاهلي توقف طه حسين مليا يستقرئ الإبداعات الجاهلية، يسير أغوارها ويتساءل مدى مصداقيتها، وسلك سبيل مرجيلوث في الاستنباط والتوسع في دلالات الروايات والأخبار وتعميم الحكم الفردي الخالص واتخاذ قاعدة عامة، ثم صاغ تلك المادة وهذه الطريقة بإطار من أسلوبه الفني وبيانه حتى انتهى إليها من أن الشعر الذي ينسب إلى

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص76.

امرئ القيس أو إلى الأعشى أو إلى غيرهما من الشعراء لا يمكن من الوجهة اللغوية والفنية أن يكون لهؤلاء الشعراء، ولا يكون قد قيل وأذيع قبل أن يظهر القرآن.¹

ثم يكاد يعتدل بعض الشيء فيقسم الشعر الجاهلي إلى ثلاث أضرب ويقول: "إننا نرفض شعر اليمن في الجاهلية، وتكاد ترفض شعر ربيعة أيضا ... وأقل ما توجهه علينا الأمانة العلمية أن نقف مع الشعر المصري الجاهلي لا نقول موقف الرفض أو إنكار وإنما نقوم موقف الشك والاحتياط."²

شك طه حسين في الشعر الجاهلي لأنه لم يترجم الحياة الجاهلية، ويرى أن أصدق مرجع للاطلاع على الشعر الجاهلي هو القرآن وليس الشعر، وفيها يؤكد "فإذا أردت أن أدرس الحياة الجاهلية فلست أسلك إليها طريق امرئ القيس والنابغة ... وإنما أسلك إليها طريقا أخرى، وأدرسها في نص لا سبيل إلى الشك في صحته، أدرسها في القرآن الكريم، فالقرآن أصدق مرآة للعصر الجاهلي."³

مما يبدو أن طه حسين قد قام بتوسيع مناقشة للفكرة الانتحال وتحليلها في كتاب كامل، في مقابل أن ما سبقه قدموا إشارات عابرة، كما يتميز عنه باستيفاء من المنهج التاريخي بطرائقه المعهودة في القراءة والربط والتحليل والتأويل.

أما المحدثون من المشرقيين فلعل "مرجليوث" هو من أوائل من أثار منهم الشك في الشعر الجاهلي في مقالة كاملة، خصص صفحاتها الكثيرة للحديث عن هذا الموضوع من جميع أطرافه.

¹ ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص 380.

² المرجع نفسه، ص 380.

³ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص 10.

(2) أسباب نحل الشعر حسب طه حسين:

(أ) السياسة وانتحال الشعر:

يشير طه حسين في بداية هذه القصية إلى أن العرب لا يختلفون عن الأمم الأخرى من حيث سيرورة الحياة، وأنهم خضعوا لنفس الظروف والمؤثرات التي دعت إلى دخل الشعر والأخبار، ويرى أن عامل السياسة والدين، كان لهما الأثر الكبير في توجيه الأدب عامة والشعر خاصة، وليبان مدى تغلغلها في حياة المسلمين يقول: "والحق أن لا سبيل إلى فهم التاريخ الإسلامي إلا إذا توضحت مسألة الدين والسياسة توضيحا كاملا، فقد أرادت الظروف ألا يستطيع العرب منذ ظهور الإسلام أن يخلصوا من هذين المؤشرين في لحظة من لحظات حياتهم في القرنين الأول والثاني".¹

ويرجع طه حسين التحل إلى عامل السياسة كون العرب أهل عصبية، وأن الإسلام لم يسمح هذه العصبية بصفة جذرية لأنها استقرت في أعماق الناس، ولم يكن الزمن الطبيعي ولا الزمن الحضاري بكاف لنزع هذه الصفة من القلوب، حتى وإن اختفت في صدر الإسلام، إلا أنها ظلت تطل من حين إلى آخر، حيث عادت للظهور في العهد الأموي، فهو يرى أن العرب أهل عصبية، وأصحاب مطامع ومنافع، فهم مضطرون إلى أن يراعوا هذه العصبية ويلاءموا بينها وبين منافعهم.²

لقد بنى المؤلف ما كتبه تحت هذا العنوان على الهجاء الذي دار بين قريش والأنصار للعهد النبوة بين قري والأنصار لعهد معاوية بن أبي سفيان، ثم على تأثير العصبية في الحياة السياسية، وقد خاض في هذا الموضوع كتاب لا يخفي على المؤلف مكانه وهو تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان إذ يقول جورج زيدان: "وقد راج الهجاء

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص28.

² مقري محظارية: النقد الأدبي عند طه حسين بين الفكر العربي والغربي، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر، جامعة تلمسان، 2011، ص49.

السياسي في العصر الأموي لاجتياح ولاة الأمور إليه بسبب الانقسام الذي قام بين الأحزاب المختلفة، وقد بدأت المهاجاة في الإسلام بين شعراء النبي وأعداءه القرشيين، ثم صارت بين قريش واليمن، وكان لكل من الجانبين شعراء يردون عنهم الهجاء بأشد منه ... وكان المسلمون يحفظون ما يقوله هؤلاء من المهاجاة وينشدونه كل طائفة تنتصر لأصحابها.¹

وقد خلص طه حسين إلى نتيجة مفادها أن هذه العصبية لم تقتصر على أهل مكة والمدينة، ولكنها تجاوزت إلى كافة العرب بحكم الفتوحات التي عاشوها ويورد نماذج عن نماذج عن تعصب قبائل أخرى بل تعصب بعض القبائل بنفسها، كما هو الشأن بالنسبة لقبيلة مضر وربيعة، حيث يقول: "ومهما يكن من شيء فإن الفصل الطويل ينتهي بنا إلى نتيجة واحدة نعتقد أنها لا تقبل الشك، وهي أن العصبية وما يتصل بها من المنافع السياسية وقد كانت من أهم الأسباب التي حملت العرب على انتحال الشعر وإضافته إلى الجاهليين، وقد رأيت أن القدماء سبقونا إلى هذه النتيجة، وأريد أن ترى أنهم قد شقوا بهاش قاءا كثير، فابن سلام يحدثنا بأن أهل العلم قادرون على أن يميزوا الشعر الذي الرواة في سهولة، ولكنهم يجدون مشقة وعسرا في تمييز الشعر العرب أنفسهم، ونحن لا نقف عند استخلاص هذه النتيجة وتسجيلها، وإنما نستخلص منها قاعدة عملية، وهو أن مؤرخ الآداب مضطر حين يقرأ الشعر الذي يسمى جاهلي أن يشك في صحته كلما رأى شيئا من شأنه تقوية العصبية، أو تأييد فريق من العرب على فريق، ويجب أن يشتد هذا الشك كلما كانت القبيلة أو العصبية التي يؤيدها هذا الشعر قبيلة أو عصبية قد لعبت - كما يقولون - دورا في الحياة السياسية.²

يحصّر طه حسين مدلول السياسة في العصبية القبلية، وهو لا يتحدث عنها حديثا شاملا، وإنما يمثل ذلك بمثالين:

¹ جورج زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، دار الهلال، ص236-236.

² طه حسين: في الشعر الجاهلي: ص38.

العصبية بين المهاجرين والأنصار ويثبت وجودها بروايتين:

الأولى: ما يروى من أن عمر قد حال أيام الخلافة بين قريش والأنصار وبين الفتنة بحزمه، فالرواة يحدثوننا أن عمر نهى عن رواية الشعر الذي تهاجى به المسلمون والمشركون أيام النبي، وقال إن هذه الرواية نفسها تثبت رواية أخرى وهي أن قريشا والأنصار تذكروا ما كان قد هجا به بعضهم بعض أيام النبي، وكانوا حراسا على روايته ويجدون في ذلك اللذة والشماتة ما لا يشعر به إلا صاحب العصبية القوية إذا وتر أو انتحر، ويدعم رأيه هذا بما يروى من قول عمر: "قد كنت نهيتكم عن رواية الشعر لأنه يوقظ الضغائن، فأما إذا أبوا فاكتبوه"، ثم يقول: "ويكفي أن أقص عليك ما كان من تنافس الشعراء من الأنصار وغيرهم عند معاوية ويزيد بن معاوية، لنعلم إلى أي حد عاد العرب في ذلك الوقت إلى عصبيتهم القديمة."

الثانية: ما ذكر من أ ابن سلام قال: "وقد نظرت قريش فإذا حظوا من الشعر قليل في الجاهلية، فاستكثرت منه في الإسلام"، وعقب على ذلك بقوله: "وليس عندي في أنها قد استكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذي يهجي فيه الأنصار."

ب) الدين وانتحال الشعر:

يعرض الدكتور أسباب ودواعي جعلت من العرب المسلمين ينحلون شعرهم، يقول: "فحن نرى أنه تشكل إشكالا مختلفة دعت إليها الظروف المختلفة التي أحاطت بالحياة الدينية للعرب وللمسلمين عامة، فكان هذا الانتحال التأثر بالدين إلى أيام الخلفاء الراشدين."¹

ونوع آخر من تأثير الدين في انتحال الشعر وإضافته إلى الجاهليين وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبي من ناحية أسرته ونسبة إلى قريش، فالأمر ما اقتنع الناس بأن النبي يجب

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص39.

أن يكون من صفوة بن هاشم، وأن يكون بنو هاشم صفوة بني عبد مناف، وأن يكون بنو عبد مناف صفوة بني قصي وأن يكون قصي صفوة قريش، وقريش صفوة مضر، ومضر صفوة عدنان، وعدنان صفوة العرب، والعرب صفوة الإنسانية كلها.¹

نوع آخر من تأثير الدين في انتحال الشعر وهو الذي يلجأ إليه القصاص ما يجدونه مكتوبا في القرآن الكريم من أخبار الأمم القديمة البائدة كعاد وثمرود ومن إليهم، فالرواة يضيفون إليهم شعرا كثيرا، وقد كفانا ابن سلام نقده وتحليله حين جد في طبقات الشعراء في إثبات أن هذا الشعر وما يشبهه مما يضاف إلى تبع وحمير موضوع منتحل، وضعه ابن إسحاق وما إليه من أصحاب القصص.²

ونوع آخر من تأثير الدين في انتحال الشعر، وذلك حين ظهرت الحياة العلمية عند العرب بعد أن اتصلت الأسباب بينهم وبين الأمم المغلوبة، فأرادوا هم أو الموالى أو أولئك أو هؤلاء أن يدرسوا القرآن درسا لغويا ويثبتوا صحة ألفاظه ومعانيه، ولأنر ما شعروا بالحاجة إلى إثبات أن القرآن كتاب عربي مطابق في ألفاظه للغة العرب، فحرصوا أن يستشهدوا على كل كلمة من كلمات القرآن بشيء من شعر العرب يثبت أن هذه الكلمة القرآنية عربية لا سبيل إلى الشك في عربيتها.³

إن العواطف الدينية على اختلافها وتتنوع أغراضها لها من التأثير في نحل الشعر، وقد كان لاستئناف الجدل في الدين بين المسلمين وأصحاب الملل الأخرى، ولاسيما اليهود والنصارى، هذا الجدل الذي قوي بين النبي وخصومه، ثم هدأ بعد انتصار النبي على اليهود والوثنيين في بلاد العرب، وانقطع أو كاد ينقطع أيام الخلفاء الراشدين، ولما انتهت الفتوح واستقر العرب في الأمصار واتصلت الأسباب بينهم وبين المغاوبين من النصارى وغيرهم،

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص41

² المرجع نفسه، ص42.

³ المرجع نفسه، ص43.

استأنف الجدل وأراد المسلمون أن يثبتوا أن للإسلام أولوية في بلاد العرب قبل أن يبعث النبي، وقد شاعت في العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده فكرة أن الإسلام يجدد دين إبراهيم وأن دين إبراهيم كان دين العرب في عصر من العصور، قبل أن يتحولوا إلى عبادة الأوثان، ولم يحتفظ بدين إبراهيم إلا أفراد قليلون يظهرون من حين إلى حين، وهؤلاء الأفراد يتحدثون فنجد في أحاديثهم ما يشبه الإسلام، ويعلق طه حسين على كل هذا بقوله: "أحاديث هؤلاء الناس قد وضعت لهم وحملت عليهم بعد الإسلام لا لشيء إلا ليثبت أن الإسلام في بلاد العرب قدمه وسابقه، وعلى هذا النحو نستطيع أن تحمل كل ما تجده من هذه الأخبار والأشعار والأحاديث التي تضاف إلى الجاهليين والتي يظهر بينها وبين ما في القرآن والحديث شبه قوي أو ضعيف."¹

ج) القصص وانتحال الشعر:

كان للقصص دور هام في صناعة ثقافة المجتمع يلتف حوله الناس ليأخذوا عنه تجربه وتجاربه غيره التي استوعبها سواء أكانت صافية أو ممزوجة بالخيالات التي تصنع وهج الأحداث وتساهم في التوسع التاريخي للفعل.

والمؤكد حسب طه حسين أن منزلة القصص عند العرب لا تقل أهمية عن الشعر، وتاريخ الأدب كثيرا ما يحمل في طياته، بل إحدى تجلياته تكون عبر أدبية القصص وتقنياته المتداولة والتي كان الخيال من أهم عناصرها، بقول طه حسين في هذا الصدد "الفن الأدبي تناول الحياة العربية والإسلامية كلها من ناحية خيالية."²

وليس من الشك عندنا في أن هؤلاء القصص من المسلمين قد تركوا آثارا قصصية لا تقل جمالا وروعة وحسن موقع في النفس عن "الإلياذة" و"الأوديسا"، وكل ما يبين القصص

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي ، ص45.

² المرجع نفسه، ص50.

الإسلامي واليوناني من الفرق هو أن الأول لم يكن شعرا كله، وإنما كان نثرا يزينه الشعر من حين إلى حين، بينما كان الثاني كله شعرا، وأن الأول لم يكن يلقيه صاحبه على أنغام الأدوات الموسيقية بينما كان القاص اليوناني يعتمد على الأداة الموسيقية اعتمادا ما¹.

ولكن العلماء فطنوا لأثر القصص في انتحال الشعر خدعوا أيضا، فلم يكن صناع الشعر جميعا ضعافا ولا محققين، بل كان منهم ذوي البصيرة النافذة ... وابن سلام نفسه يحدثنا بأنه إذا سهل على العلماء النقاد أن يعرفوا ما تكلفه الضعفاء من المنتحلين، فمن العسير عليهم أن يميزوا ما كان يتكلفه العرب أنفسهم، وقد رأيت أن العرب أنفسهم كانوا يتكلفون ويضعون ويكذبون فيسرقون في هذا كله.²

وتأثر القصص بشيء آخر غير السياسة والدين وروح الشعب الذي كان يتحدث إليه، ومن هنا عني عناية شديدة بالأساطير والمعجزات وغرائب الأمور، فنحن نقول أن هذه القصص كانت تعتمد قوتها وثروتها من مصادر مختلفة، أهمها أربعة:

الأول: مصدر عربي هو القرآن وما كان يتصل به من الأحاديث والروايات وما كانت تتحدث به العرب وما كان يتحدث به الرواة من سيرة النبي والخلفاء وغزواتهم وفتوحهم.

الثاني: مصدر يهودي نصراني، وهو ما كان يأخذ القصاص عن أهل الكتاب من أخبار الأنبياء والأحبار والرهبان وما يتصل بذلك.

الثالث: مصدر فارسي، وهو الذي كان يستقيه القصاص في العراق خاصة من الفرس مما بأخبارهم وأساطيرهم وأخبار الهند وأساطيرها.

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي ، ص50.

² المرجع نفسه ، ص54.

ثم المصدر الرابع مصدر مختلط هو هذا الذي يمثل نفسية العامة غير العربية من أهل العراق والجزيرة والشام من الأنباط والسريان ومن هم من هؤلاء الأخطا الذين منبئين في هذه الأقطار والذين لم تكن لهم سيادة ولا وجود سياسي ظاهر.

كل هذه المصادر كانت تمد القصاص، فكانت ترى في قصصهم ألوانا من القول وفنونا من الحديث، قد لا تعجب العالم المحقق لاضطرابها وظهور سلطان الخيال عليها، ولكن لها جمالا أدبيا فنيا يعجب به من يستطيع أن يقدر التمام هذه الأهواء المختلفة التي تتصل بشعوب مختلفة وأجيال متباينة من الناس.¹

والتعمق في درس حياة القصاص الذي كانوا يقصون في البصرة والكوفة ومكة والمدينة وغيرها من الأمصار يظهرنا من غير شك على الصلات التي كانت بين هؤلاء القصاص والأحزاب السياسية، وكان القصاص في حاجة إلى مقادير من الشعر لا حد لها يزينون بها قصصهم ويدعمون مواقفهم المختلفة فيه.

وزعم طه حسين أن هؤلاء القصاص كانوا يستعينون بأفراد من الناس يجمعون لهم الأحاديث والأخبار ويلفقونها، وآخرون ينظمون لهم القصائد وينسقونها، بني هذا على ما قاله ابن سلام من أن ابن إسحاق كان يعتذر عما كان يروى من الشعر، فيقول: "إن هؤلاء القصاص لم يكونوا يتحدثون إلى الناس فحسين وإنما كان كل واحد منهم على طائفة غير قليلة من الرواة والملفقيين ومن النظام والمنسقين، حتى استقام لهم مقدار من تليفق، أولئك وتنسيق هؤلاء طبعوه بطباعهم ونفخوا فيه من روحهم وأذاعوه بين الناس"، وزعم أنه أيام بني أمية وبني العباس، كانت المصانع الشعرية في الأمصار المختلفة تنتج كثرة فاحشة من الشعر تضاف إلى أناس منهم المعروف ومنهم غير المعروف، ومنهم الحضري ومنهم البدوي.

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص52.

(د) الشعبية وانتحال الشعر:

يرى طه حسين أن الشعبية كان لها دور في افتعال الشعر ونخله، حين فتح المجال لهؤلاء الشعبيين من الجيل الثاني الموالي الذين اندمجوا في الأوساط العربية وتعلموا لغتهم، ويتحدث عن الخصومة التي كانت بين العرب والموالي في الإسلام، فيقول: "أما نحن فنعتقد أن هؤلاء الشعبية قد تحلوا أخبارا وأشعارا وأضافوها إلى الجاهليين والإسلاميين، ولم يقف أمرهم عند نحل الأخبار والأشعار بل هم قد اضطروا خصومهم ومناظرهم إلى النحل والإسراف."¹

ويقول: كانت الشعبية تتحل من الشعر ما فيه عيب للعرب وغض منهم، وكان خصوم الشعبية ينحلون من الشعر ما فيه ذود عن العرب ورفع لأقذارهم.

ثم يعيد ما أشار إليه عند حديثه عن الدين، فيقول: "ونوع آخر من النحل دعت إليه الشعبية، نجده بنوع خاص في كتاب (الحيوان) للجاحظ، وما يشبهه من كتب العلم ينحوا بها أصحابها نحو الأدب، ذلك أن الخصومة بين العرب والعجم دعت وأنصارهم إلى أن يزعموا أن الأدب العربي القديم لا يخلو من شيء تشتمل عليه العلوم المحدثه، فإذا عرضوا لشيء مما في هذه العلوم الأجنبية فلا بد من أن يثبتوا أن العرب قد عرفوه أو أكملوا به أو كادوا يعرفوه ويلمونه به."²

والذي يعنينا من هذا كله هو أن نلاحظ أن الجاحظ وأمثاله من الذين كانوا يعنون بالرد على الشعبية، ومهما يكن علمهم ومهما تكن روايتهم، لم يستطيعوا أن يعصموا أنفسهم من هذا الانتحال الذي كان يضطرون إليه اضطرارا ليسكتوا خصومهم من الشعبية، فليس من اليسر أن نصدق أن كل ما يرويه الجاحظ من الأشعار والأخبار حول العصا والمخصرة

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص58.

² ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص393-394.

ويضيفه إلى الجاهلين صحيح، ونحن نعلم حق العلم أن الخصومة تشتد بين الفرق والأحزاب فأيسر وسائلها الكذب.¹

2/ الرواة ونحل الشعر:

يرى طه حسين بأن الرواة على اختلافهم قد عبثوا بالأدب أيما عبث، لأنهم لم يكونوا على استقامة الأخلاق، ومن ثم فتحت لهم قسوتهم ومجونهم واستهتارهم أن يفعلوا بشعر الأولين ما يشاؤون، ويخص بالذكر خلق الأحمر زعيم أهل البصرة في الرواية والحفظ، وحماد الرواية زعيم الكوفة في الرواية والحفظ أيضا، يقول طه حسين: "كان كلا الرجلين مسرفا على نفسه ليس له حظ من دين ولا خلق ولا احتشام ولا وقار، كان كلا الرجلين سكيما فاسقا مستهترا بالخمير والفسق، وكان كلا الرجلين صاحب شك ودعاية ومجون."²

إذا كيف يأتي الصدق وتأتي صحة الرواية من أناس هذه هي سلوكاتهم وأخلاقهم، وكيف لا يأتي الشك في كل ما يروون، ومن ثم حسب طه حسين تولد النحل والانتحال، ويركز صاحب كتاب (في الشعر الجاهلي) على موقف أهل الكوفة الذين يجمعون على أن كلا الرجلين كان بارعين في الانتحال، يقول طه حسين "وأهل الكوفة والبصرة يجمعون على تجريح الرجلين في دينهما وخلقهما ومروءتهما، وهم يجمعون على أنهما لم يكونا يحفظان الشعر ويحسنان روايته ليس غير، وإنما كانا شاعرين مجيدين يصلان من التقليد والمهارة فيه إلى حيث لا يستطيع أحد أن يتميز بين ما يرويان وما ينتحلان."³

... وقد قسم الدكتور طه حسين الرواة حسب رأيه إلى قسمين، فيقول: "هم بين اثنين: إما أن يكون من العرب، فهم متأثرون بما كان يتأثر به العرب، وإما أن يكونوا من الموالي،

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص63.

² طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص64.

³ المرجع نفسه، ص65.

فهم متأثرون بما كان يتأثر به الموالي من تلك الأسباب العامة، وهم على تأثرهم بهذه الأسباب العامة متأثرون بأشياء أخرى هي التي أريد أن أقف عندها وقفات قصيرة، ولعل أهم هذه المؤثرات التي عبثت بالأدب العربي وجعلت خطة من الهزل عظيمًا، مجون الرواة وإسرافهم في اللهو والعبث وانصرافهم عن أصول الدين وقواعد الأخلاق إلى ما يأبه الدين وتتكره الأخلاق.¹

ثم تحدث عن حماد وخلف وأبي عمر الشيباني، ويعد أن يعرض ما يروي عن مجونهما وفسقهم ووضعهم الأشعار، يقول: "وإذا فسدت مروءة الرواة كما فسدت مروءة حماد وخلف وأبي عمر الشيباني، وإذا أحاطت بهم ظروف مختلفة تحملهم على الكذب والنحل ككسب المال والتقرب إلى الأشراف والأمراء والظهور على الخصوم والمنافسين ونكاية العرب -نقول: إذا فسدت مروءة هؤلاء الرواة وأحاطت بهم مثل هذه الظروف كان من الحق علينا ألا نقبل مطمئنين ما ينقلون إلينا من شعر القدماء.

وهناك طائفة من الرواة غير هؤلاء ليس شك أنهم كانوا يتحدثون الانتحال في الشعر واللغة وسيلة من وسائل الكسب، وكانوا يفعلون ذلك في شيء من السخرية والعبث²، يزيد بهم هؤلاء الأعراب في أن هؤلاء الناس جين رأوا إلحاح أهل الأمصار عليهم في طلب الشعر والغريب وعنايتهم بهما، ... قدروا بضاعتهم واستكثروا منها.

وهكذا بعد أن حلل طه حسين بدقة الأسباب المختلفة التي أدت إلى نحل الشعر ووضعها يعود فيستخلص من ذلك نتيجة كلبة أو عامة هي أن كل شيء في حياة المسلمين في القرون الثلاثة الأولى كان بدعوا إلى الشعر وتلفيقه، سواء في ذلك الحياة الصالحة حياة الأتقياء والبررة أو الحياة السيئة حياة الفسق وأصحاب المجون.

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص64.

² المرجع نفسه، ص66.

وبهذا قلب كل ما كان مألوفاً، وهو دراسة ما يمكن أن يكون موضوعاً على الجاهليين، فأصبح يدعوا إلى دراسة ما يمكن أن تصح نسبته إليهم من الشعر والسبيل إلى ذلك دراسة الشعر نفسه في ألفاظه ومعانيه، وذلك بعد الانتهاء من دراسة الظروف المحيطة بهذا الشعر.

ويكن القول: إن الدراسة الجمالية لهذا الشعر إنما تصب في البحث عن المقاييس الأدبية والجمالية التي تكمل وتخدم النظرية التاريخية التي انطلق منها ... وإذا كان طه حسين قد انطلق من القرآن الكريم كوثيقة صحيحة من الوجهة التاريخية، وكذلك من صحة الشعر الإسلامي للأسباب التي ذكرها فإن الدراسة الفنية تأتي لتدعيم الحجج التي حاول أن يجيب بها عن السؤال الكبير الذي كان يطرحه في بداية بحثه: هل يوجد شعر جاهلي أم لا؟، ولذلك لتتقيا ما يمكن أن يعتبر شعراً جاهلياً واختلط بغيره مما نحلّه أو وضعه الرواة ... ونجد هنا طه حسين يعتمد على نظرية ربما نظرية -سانت بيف- في إلغاء كثير أو كل الشعر الجاهلي تقريباً لأنه في رأيه لا يمثل شخصية صاحبه، وأرجع طه حسين اختلاف حياة الشعراء الذي يرجح وجودهم إلى القصاص أو الراوي بالدرجة الأولى وإلى أسباب أخرى.

(3) بعض الشعراء الذي شكك في شعرهم:

شكك طه حسين في شعر بعض الشعراء وحاول أن يقدم مبررات عقلية لشكه في حياة الشاعر أو اضطراب الرواة في روايتهم، ومن بين الذين شك فيهم:

(أ) امرئ القيس:

لقد شك طه حسين فيه وفي شعره لأسباب، أولها تضارب الرواة في اسمه وكنيته ونسبه وحياته، ويعقب على آراء الرواة في اسم هذا الشاعر ونسبه بقوله: "فأما اسم امرئ

القيس واسم أبيه واسم أمه فأشياء ليس من اليسير الاتفاق عليها بين الرواة، فقد كان اسمه امرئ القيس، وكان اسمه وكان اسمه قيسا ... عليك أن تستخلص من هذا الخليط المضطرب ما نستطيع أن نسميه حقا أو شيئا يشبه الحق.¹

وثانيهما: أن قسما من حياة من شعره يدور حول قصة حياته يفسرها ويؤيدها هو مدخول في نظر طه حسين من قبل الرواة، وثالثها أن القسم الآخر من شعره المستقل عن الأهواء السياسية والحزبية موضوع مدخول كذلك لأن الضعف فيه ظاهر والاضطراب فيه بين التكلف والإسفاف فيه يكادان يلزمان بالبداية ورابعها: أنه يستثني من هذا القسم الأخير من قصيدتين هما:

الأولى يقول: قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل.

الثانية يقول: ألا أنعم صباحا أيها الطلل البالي.

ومع ذلك فهو يشكك فيها من وجوه:

الوجه الأول: أن امرئ القيس إن صحت أحاديث الرواة يماني وشعره قريشي اللغة.

الوجه الثاني: أن امرئ القيس لم يذكر قصة البسوس ولم يذكر شيئا عن خاليه مهلهل وكليب ابن ربيعة.

الوجه الثالث: أن الرواة يختلفون اختلافا كثيرا في رواية القصيدة في ألفاظها وترتيبها.²

ولعل هذا وأشباهه من الخلط في حياة امرئ القيس أوضح دليل على أن امرئ القيس إن يكون قد وجد حقا ونحن نرجح ذلك ونكاد نوقن به.

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص72.

² ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقبيلتها التاريخية، ص396.

وقصة امرئ القيس بنوع خاص تشبه من وجوه كثيرة حياة عبد الرحمان ابن الأشعث، فهي تمثل لنا امرئ القيس مطالباً بئثار أبيه، وهل تأثر عبد الرحمان عند الذين يفقهون التاريخ إلا منتقماً لحجر بن عدوى؟ وهي تمثل لنا امرئ القيس طامعاً في الملك، وقد كان عبد الرحمان بن الأشعث يرى أنه ليس أقل من بني أمية لا للملك، وكان يطالب به، وهي تمثل لنا امرئ القيس منتقلاً في قبائل العرب، وقد كان عبد الرحمان ابن الأشعث منتقلاً في مدن فارس والعراق، وهي تمثل امرئ القيس لاجئاً إلى قيصر مستعينا به، وقد كان عبد الرحمان ابن الأشعث لاجئاً إلى ملك الترك مستعينا به، وهي تمثل لنا بعد هذا وذاك امرئ القيس وقد مات في طريقه عائداً إلى بلاد الروم، وقد مات عبد الرحمان عائداً من بلاد الترك.

أليس من اليسير أن نفترض بل نرجح أن حياة امرئ القيس كما يتحدث عنها بعض الرواة ليست إلا لونا من التمثيل لحياة عبد الرحمان استحدثه القصاص إرضاء لهوى الشعوب اليمينية في العراق.¹

وهذا البحث ينتهي بنا إلى أن أكثر الشعر الذي يضاف لامرئ القيس ليس من امرئ القيس في شيء، وإنما هو مجهول عليه حملاً ومختلف عليه اختلافاً، حمل بعضه العرب أنفسهم، وحمل بعضه الآخر الرواة الذي دونوا الشعر في القرن الثاني للهجرة.

ولننظر في المعلقة نفسها، فلننا نعرف قصيدة يظهر فيها التكلف والتعامل أكثر مما يظهران في هذه القصيدة، ولا تحفل بقصيدة تعليق هذه القصائد السبع أو العشر على الكعبة أو الدفاتر، ولكننا نلاحظ أن القدماء أنفسهم يشكون في بعض هذه القصيدة، فهم يشكون في صحة هذين البيتين:

ترى بعر الآرام في عرصاتها *** وقيعانها كأنه حب فلفل

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص74.

كأني غداة البين ويوم تحملوا *** لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وهو يشكون في هذه الأبيات:

وقربة أقوام جعلت عصامها *** على كاهل مني دلول مرحل

وواد كجوف العير قفر قطعته *** به الذنب يعوى كالخليع المعيل

فقلت له لما عوى إن شأننا *** قليل إن كنت لما تمول

كلانا إذا ما نال شيئا أفاته *** ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

وهو بعد هذا يختلفون اختلافا كثيرا في رواية القصيدة في ألفاظها وفي ترتيبها، ويضعون لفظا مكان لفظ، وبيتا مكان بيت وهو اختلاف شنيع يكفي وحده لحملنا على الشك في قيمة هذا الشعر، وهو اختلاف أعطى للمستشرقين صورة سيئة كاذبة عن الشعر العربي، فخيل إليهم أنه غير منسق ولا مؤتلف وأن الوحدة لا وجود لها في القصيدة، وأن الشخصية لا وجود لها في القصيدة.¹

(ب) عبيد بن الأبرص:

شاعر آخر لمس فيه طه حسين ما لمس من امرئ القيس وهو عبيد بن الأبرص يقول طه حسين عن هذا الشاعر "فقد التمسنا سيرته وما يضاف إليه من الشعر وما يعيننا على إثبات شخصية امرئ القيس وشعره فكانت النتيجة محزنة جدا، ذلك أنها انتهت بنا إلى أن نقف مع عبيد وشعره نفس الموقف الذي وقفناه مع امرئ القيس وشعره، وليس علينا في

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص78.

ذلك ذنب، فالرواة لا يحدثونا عن عبيد بشيء يقبل التصديق، وإنما عبيد عند الرواة والقصاص شخص من أصحاب الخوارق والكرامات، كان صديقاً للجن والسماء معاً.¹

ولم يشك طه حسين في شخص عبيد فقط، بل شك كذلك في شعره "فأما شعر عبيد فليس أشد من شخصيته وضوحاً، فالرواة يحدثونا بأنه مضطرب ضائع، وابن سلام يحدثنا في موضع من كتابه "طبقات الشعراء" أنه من شعر عبيد إلا قصائد بقدر عشر، ولكنه يحدثنا في موضع آخر أنه لا يعرف له إلا قوله:

أفقر من أهله ملحوب *** فالتطبيات فالدنوب.²

ويقول عبيد في شعره الذي عارض فيه امرئ القيس وهجا فيه كندة، فقد وجد فيه طه حسين لبونة وضعف وإسراف، كما جاء في الأدب الجاهلي قوله "أما شعره الآخر الذي عارض فيه امرئ القيس وهجا فيه كندة فلاحظ له من صحة فيما نعتقد"، ودليله في ذلك القصيدة التي مطلعها:

ياذا المخوفتا بقت *** ل أبيه إدلالا وحبنا

أزعمت أنك قد قتل *** ت سراتنا كذبا ومينا.³

ج) عمر بن قميئة:

يشك في عمر طسبين هما: غموض حياته، فهو يرى أن "عمر بن قميئة ضاع كما ضاع امرئ القيس من الذاكرة، ولم يعرف من أمره شيء إلا اسمه هذا، كما لم يعرف من

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص 82.

² المرجع نفسه، ص 82.

³ محمد تاج: المنظور الاستشراقي في الأدب العربي، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، 2007، ص 188.

أمر امرئ القيس ولا من عبيد إلا اسمهما، ووضعت له قصة كما وضعت لكل من صاحبيه قصة، وحمل عليه شعرا كما حمل على صاحبه الشعر أيضا."

والثاني أن في شعره سهولة ولينا وتوليد وتكلفنا وانتحالا، يقول طه حسين "وتظن أن النظر في القصيدة يكفي ليقنع القارئ بأننا أمام شيء منتحل متكلف لا حظ له من الصدق، وليس خيرا من هذه القصيدة، هذا الشعر الذي يقال أن عمرو بن قميئة أنشأه لما تقدمت به السن يصف به هرمه وضعفه، ولعله قاله قبل أن يرتحل مع امرئ القيس إلى بلاد الروم، ويزعم الشعبي، أو ما روى عن الشعبي أن عبد الملك بن مروان تمثل في علته التي مات فيها-يقول:

كأني جاوزت تسعين حجة *** خلعت بها عني عنان لجامي

على الراحتين مرة وعلى العصا *** أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

رمتي بنات الدهر من حيث لا أرى *** فما بال من يرمي وليس براهيم

فلو أن ما أرمي بنيل رميتها *** ولكنما أرمي بغير سهام

إذا راني الناس قالوا ألم يكن *** حديثا جديد البرى غير كهام

وأفنى وما أفنى من الدهر ليلة *** وما يفنى ما أفنيت سلك نظامي

وأهلكني تأميل يوم وليلة *** وتأميل عام بعد ذاك العام.¹

د) مهلهل بن ربيعة:

كما شك الدكتور طه حسين في مهلهل بن ربيعة كغموض شخصيته، ويرى أن من السذاجة التسليم بما يتحدث به الرواة من أمر قصة -البسوس- التي مجدوا فيها المهلهل

¹ طه حسن: في الشعر الجاهلي، ص 86.

وأعطوه دور البطولة في القصة، يقول: "فأما أمره فنظن أن يسير لا سبيل إلى الاختلاف فيه، فيجب أن تبلغ من السذاجة حفا غير قليل لتسلم بما كان يتحدث به الرواة من هذه القصة العريضة: قصة البسوس، ونظن أن الاتفاق يسير على أن هذه القصة قد طولت ونميت وعظم أمرها في الإسلام حين اشتد التنافس بين ربيعة ومضر من ناحية، وبين بكر وتغلب من ناحية أخرى، وليس المهلهل في حقيقة الأمر إلا يطل هذه القصة، عظم أمره وارتفع شأنه بقدر ما نميت هذه القصة وطول فيها."¹

بالإضافة إلى غموض شخصية المهلهل بن ربيعة، نجد الدكتور يشك في شعره واختلاطه ويقول: "في هذا الشعر اضطرابا واختلاطا، فزعمت أو زعم الرواة أنه لهذا الاضطراب أو الاختلاط سمي مهلهلا، لأنه هلل الشعر والهلهلة الاضطراب."²

ويحسن أن نظهرك على شيء من شعر مهلهل لترى كما نرى أنه لا يمكن أن يكون أقدم شعر قائله العرب:

أليتنا بذي جسم أنيري *** إذا أنت انقضيت فلا تحوري

فإن بك بالذئاب طال ليلي *** فقد أكمي من الليل القصير

فول نبش المقابر عن كليب *** لأخير بالذئاب أي زير

ويوم الشعشمين لقر عينا *** وكيف لقاء من تحت القبور

على أني تركت بواردات *** بجير في دم مثل العير

هتكت به بيوت بني عباد *** وبعض الغشم أشفى للصدور

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص86.

² المرجع نفسه، ، ص87.

أليس يقع من نفسك موقع الدهش أن يستقيم وزن الشعر وتطرء قافيته وأن يلاطم قواعد النحو وأساليب النظم.¹

هـ) عمرو بن كلثوم:

يرى طه حسين أن عمرو بن كلثوم قد أحيط بمولده ونشأته بطائفة من الأساطير يشك فيها إلا أشد الناس سذاجة في أنها لون من ألوان العبث والانتحال، يقول: "فكل هذه الأحاديث التي تشير إليها تدل على أن عمرو بن كلثوم قد أحبط بطائفة الأساطير جعلته من أبطال القصص أقرب منه إلى أشخاص التاريخ."²

وسواء أكان عمرو بن كلثوم شخصا من أشخاص التاريخ، أم بطلا من أبطال القصص فإن القصيدة التي تنتسب إليه لا يمكن أن تكون جاهلية، أو لا يمكن أن تكون كثرتها جاهلية ... فلسنا نعرف كلمة تضاف إلى الجاهليين وفيها الإسراف واللغو ما في كلمة عمرو بن كلثوم.³

وأنت حين تمضي في القصيدة ترى فيها أبياتا مكررة تقع وسط القصيدة وفي آخرها، لكن هذا النحو من الاضطراب مشترك في أكثر الشعر الجاهلي، مصدرها اختلاف الروايات، فإذا قرأت القصيدة نفسها ستجد لفظا سهلا لا يخلو من جزالة، وستجد فيها معاني حسانا وفخرا لا بأس به ولولا أن الشاعر يسرف فيه من حين إلى حين إسراف ينتهي إلى السخف كقوله:

إذا بلغ الرضيع لنا فطاما *** سخر له الجبابر ساجدينا

وستجد فيها أبياتا تمثل البدوي واعتزازه بقوته وبأسه، كقوله:

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي ، ص88.

² المرجع نفسه ، ص90.

³ بتصرف، المرجع نفسه، ص91.

ألا لا يجهلن أحد علينا *** فنجهل فوق جهل الجاهلين

قلت إن هذا البيت يمثل البدوي ولكني أسرع فأقول إنه لا يمثل سلامة الطبع البدوي وإعراضه عن تكرار الحروف إلى حد الملل.¹

(و) طرفة بن العبد:

شك في شعر طرفة لسببين، الأول: شذوذه عن شعراء ربعة في قوة منته وشدة أسره وإغرابه حتى صار شعره أشبه بشعر المضربين من شعر الربيعيين، يقول: "وأمض في قراءة القصيدة فتظهر لك شخصية قوية ومذهب في الحياة واضح جلي: مذهب اللهو واللذة يعمد إليهما من ال يؤمن بشيء بعد الموت ولا يطمع في الحياة إلا فيما تتيح له من نعيم بريء من الإثم والعار وعلى ما كالم يفهمها عليه هؤلاء الناس:

وما زال تشر أبي خمر ولذتي *** وبيعي وانفاقي طريقي ومثلي

إلى أن تحامنتي العشيرة كلها *** وأفردت أفراد البعير المعبد

رأيت بني غبراء لا ينكرونني *** ولا أهل هناك الطرف الممدد

ألا أبهذا الزاجري أحضر الوغى *** وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي *** فدعني أبادرها بما ملكت يدي

في هذا الشعر شخصية بارزة قوية لا يستطيع من يلحها أن يزعم أنها متكلفة أو منتحلة أو مستعارة، وهذه الشخصية ظاهرة البداوة واضحة الإلحاد بنية الحزن واليأس والميل إلى الإباحة في قصد واعتدال.²

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي ، ص92.

² المرجع نفسه ، ص97.

والثاني: اختفاء شخصيته في القصائد الأخرى غير المعلقة أو غير أبيات من المعلقة ولا يشبه الشعر الذي قدمه في وصف الناقة ولا يمكن أن يتصل بالشعر الذي وصف به مذهبه في الحياة، يقول طرفه بالعبء في وصف ناقتة:

إذا نحن قلنا أسمعينا أنبرت لنا *** على رسلها مطروقة لم تشدد

إذا رجعت في صوتها خلت صوتها *** تجاوب أطار على ربع ردي

ثم يقول: "ولست أدري أهذا الشعر قد قاله طرفة أم قاله رجل آخر وليس يعني أن يكون طرفة قائل هذا الشعر، بل ليس يعني أن أعرف اسم صاحب هذا الشعر، وإنما يعني هو أن هذا الشعر صحيح لا تكلف فيه ولا تحل".¹

ي) المتلمس:

شك طه حسين في شعر المتلمس لما فيه من رقة وإسفاف وابتذال كشعر ربعة الذي قدم الإشارة إليه، ولأن تكلف القافية وخاصة في سينيته ظاهر ملموس ثم يقول "وأكبر الظن أن كل ما يضاف إلى المتلمس من شعره أو أكثره - على أقل تقدير - مصنوع، الغرض منه تفسير طائفة من الأمثال وطائفة من الأخبار...".²

ولتحس تكلف القافية، على أن هذه القصيدة مضطربة الرواية، فقد يوضع آخرها في أولها وقد يروى مطلعها، بقول:

كم دون مية من مستعمل قذف *** ومن فلاة بها تستودع العبس

وللمتلمس قصيدة أخرى ليست أجود ولا أمتن من هذه القصيدة، ولعلها أدنى منها إلى الرداءة، وهي التي مطلعها:

¹ ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص398.

² المرجع نفسه، ص398-399.

ألم تر أن المرء رهن منية *** صريع لعافي الطير أو سوف يرمس

فلا تقبلن ضميا مخافة ميتة *** وموتن بها حرا وجلدك أملس

ويقول فيها:

وما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا *** وما العجز إلا أن يضاموا فيجلسوا

وربما كانت الميمية للمتمس أجود ما يضاف إليه من الشعر، وهي التي أولها:

يعيرني أمي رجال ولا أرى *** أبا كرم إلا بأن يتكرما.¹

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص98.

خاتمة

خاتمة:

في ختام بحثي هذا يمكن القول أن مجمل ما قمت به حول موضوع الرؤية النقدية عند طه حسين هو دراسة من الجانب النظري والتطبيقي، محاولة مني الإلمام بمختلف العناصر المتعلقة بالموضوع والتفصيل فيها، وذلك من خلال الجزء التطبيقي من هذا البحث.

فعلى المستوى الأول أي النظرية خلصت أن العملية النقدية ليست عملية سهلة وبسيطة، وليست أيضا في متناول جميع الناس أو كل الفئات الموجودة في المجتمع، وإنما هي عملية تعتمد على أسس ومبادئ ينبغي على الناقد الجيد أن يعمل بها وأن يسير وفقها، وطه حسين بدوره قد وضع أصول منهجه ومعايير نقدية اعتمدها في دراسته الأدبية والتي لخصتها في: المجتمع والبيئة، صدق التعبير، اتجاهه الجمالي الذوقي، الأسلوب، حرية الأديب، الخيال، النزعة التأثرية ومعارضته لمنهج التحليل النفسي.

أما على المستوى الثاني أي التطبيقي، فتوصلت إلى أن طه حسين تناول بالنقد الأعمال الكبرى، وكان نقده نقدا بناء قائما على الموضوعية، والصراحة التامة، وهذا ما جعله يكون بمثابة مدرسة تخرج منها عمالقة الأدب العربي، فالنقد يعد المعيار الأساسي لنجاح الأعمال الأدبية، ذلك لكونه حافز قوي على الإبداع.

وآخر القول أنه يصعب في الحقيقة حصر نتائج النقد عند طه حسين ومدى تأثيره في مسيرة النقد العربي الحديث، بالإضافة إلى ذلك لا أدعى أنني قدمت التحليل الوافي للكتاب النقدي -في الشعر الجاهلي- لطه حسين، إلا أنني بذلت قصارى جهدي لكي أعطي لهذا الكتاب حقه وأصل إلى النتائج التي توصلت إليها الآن.

ولعلي أكون قد أصبت في أشياء وأخطأت في أشياء، وأتمنى تداركها في دراسات قادمة، وذلك لصعوبة مجازاة رواد النقد والتعليق على أعمالهم وآرائهم.

قائمة

المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: قائمة المصادر

1- المدونة: طه حسين: قي الشعر الجاهلي، دار المعارف، ط13، مصر، 1979.

ثانياً: قائمة المراجع

2- جابر عصفور: المرايا المتجاوزة، دراسة في نقد طه حسين، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1983.

3- جورج زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، دار الهلال، د/ت.

4- حامد حفني داود: تاريخ الأدب الحديث تطوره ومعالمه الكبرى ومدارسه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

5- حسين الحاج حسن: النقد الأدبي، آثاره وأعلامه، المؤسسة الجامعية لدراسات النشر والتوزيع، لبنان، 1996.

6- حسن المرصفي: الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، مصر، 1982.

7- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي والأدب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1983.

8- حلمي مرزوق: تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1983.

9- حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

10- سامح كريم: تقديم دراسة وتحليل للكتاب في الشعر الجاهلي لطف حسين، ط2، دار المصري اللبناني، 2012.

- 11- سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1977م.
- 12- شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، النقد، ط5، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، 154.
- 13- عبد المجيد حنون: المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، ط1، دار البهاء، الجزائر، 2010.
- 14- كمال نشأت: النقد الأدبي الحديث في مصر، المنظمة العربية للتربية والعلوم، بغداد، 1983.
- 15- طه حسين: حديث الأربعاء، ج1، دار المعارف، مصر، 1972.
- 16- طه حسين: حديث الأربعاء، ج2، دار المعارف، مصر، 1976.
- 17- طه حسين: المجموعة الكاملة، ج5، فصول الأدب العربي والنقد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1974.
- 18- طه حسين: تجديد ذكرى أبي علاء المعري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984.
- 19- طه حسين: خصان ونقد، ط2، دار العلم، بيروت، لبنان، 1985.
- 20- محمد أحمد الغمزاوي: النقد التحليلي للكتاب في الأدب الجاهلي، مطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1929.
- 21- محمد بلوحي: الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث، اتحاد الكتاب، 2000.
- 22- محمد زغلول: النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ورواده، منشأة المعارف، مصر، د/ت.

- 23- مصطفى الصاوي الجويني: في النقد الأدبي الحديث، دار المعارف، الإسكندرية، د/ت.
- 24- ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط5، دار المعارف، الأردن، 1978.
- 25- نعمات أحمد فؤاد: في أدب العقاد، د/ط، دار المعارف، د/ت.
- 26- يحيى الشامي: أعلام الفكر العربي، طه حسين، أديبا وناقد، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، د/ت.
- 27- يوسف نور عوض: الرؤية الحضارية والنقدية في أدب طه حسين، دار القلم، لبنان، د/ت.

ثالثا: المجالات

- 28- شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عن العرب والغرب، عالم المعرفة، العدد 177، الكويت، 1993.
- 29- طه حسين: حافظ وشوقي: منشورات الخانجي وحمدان، القاهرة، د/ط، د/ت.

رابعا: المذكرات

- 30- محمد تاج: المنظور الاستشراقي في الأدب العربي، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، 2007.
- 31- مقري مخطارية: النقد الأدبي عند طه حسين بين الفكر العربي والغربي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة تلمسان، 2011م.

الملاحق

نبذة عن حياة طه حسين:

مولده ونشأته:

طه حسين (1889-1973): ولد طه حسين في ضاحية من ضواحي "المغاغة" في الصعيد الأوسط، يوم 14 نوفمبر 1889 في أسرة متوسطة الحال، كانت تتمتع بدخل منتظم، ولو كان محدودا، فكانت الأسرة تطمح إلى تثقيف بعض أولادها العديدين الذين وجد طه حسين نفسه ضائعا بينهم، فقد كان سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه، خامس أحد عشر من أشقته، كان يشعر أن له بين هذا العدد الضخم من الشباب والأطفال مكانا خاصا يمتاز من مكان إخوته وأخواته، أكان هذا المكان يرضيه؟ أكان يؤذيه، الحق أنه لا يتبين ذلك إنه في غموض وإبهام.

لم يتبين موضعه الكثير لسببين: أولهما لأنه كان متوسط إخوته وأشقائه فلم يحضا بفرحة الأوائل ولا بعطف الأواخر، وثانيهما أنه أصيب في سنواته الأولى بالرمد، فأضاع علاج شعبي بصره إلى الأبد.

أدرك واقعه المر، لأنه عالية على غيره في أبسط الأمور، فوطن نفسه على مواطنة نفسه أي على مكابدة الصعاب والصبر على الألم في سبيل ما لا يعرف، واجتاز كل العقبات التي تعترض سبيله ليكون الأفضل دائما، وقد أدخل الكتاب في سن مبكرة، فحفظ القرآن كله ولم يتعد التاسعة من العمر، فلم يبقى أمامه إلا الالتحاق بالأزهر ليصبح "شيخا" يعلم الصبيان ويقراً القرآن في المآتم مثل أمثاله من العميان حسب تفكير والده، أمات هو فكان طموحه أكبر وكان يرى الأزهر قبلة العلم.¹¹⁴

¹¹⁴ عبد المجيد حنون: المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، دار بهاء الدين، ط1، الجزائر، 2010، ص227.

شخصيته:

جاء في أحد ملحقات "النهار" من سنة 1973 على لسان الدكتور "صلاح الدين المنجد" كلام صريح وموجز في شخصية الدكتور طه حسين نوره في غير تحفظ، قال: عملاق فذ، ملأ عصره بوجوده، وهزه بنزواته وآرائه وخصوماته، كان عجبيا في كل شيء، لأنه كان يكره الاعتدال، عجيب في عماه الذي أعطاه الذكاء المتوقد، وفي سخريته من القديم وحبته للخروج عليه، وفي جرأته المتهورة، أيام شبابه التي قادتته إلى الهجوم على التوراة وإبراهيم، متابعا مرجليوث.¹¹⁵

وفي خصامه العنيف مع جميع ذوي الشأن من أدباء مصر من "المنفلوطي وشوقي إلى توفيق الحكيم، مرورا بالمازني والعقاد، والرافعي والزيات، وزكي مبارك وأحمد أمين" وفي جبروته وفي عناده وفي عونه الذين يلجئون ويلوذون به، وفي ملاطفته الطغاة والحكام، من السلطان حسين كامل إلى جمال عبد الناصر، وفي حبه السيطرة على كل شيء وفي حديثه الممتع الساحر إذا تحدث، وإلقائه الرنان الآخذ للقلوب والأسماء.¹¹⁶

تاريخه:

ولد طه حسين في مصر العليا وفقد بصره وهو طفل، درس في الأزهر ثم في الجامعة المصرية ثم في السوربون بباريس ونال أعلى الدرجات العلمية في سنة 1925، عين أستاذ في الجامعة المصرية ثم انتدب عميدا لها ثم مديرا للجامعة الإسكندرية، وفي 1950 وزيرا للتعليم، توفي سنة 1973.

طه حسين مفكر وأديب مصري واسع الشهرة، عرف بعميد الأدب العربي إذ كان ذا دور فريد في الأدب الحديث تأليفا ودراسة وترجمة ونشر، وذا دور فريد في ميداني الوطن والثقافة حضا وتوجيها وتطويرا، وأخيرا ذا دور في حقل التربية إذ أقر التعليم المجاني لأبناء

¹¹⁵ حنا الفاخوري: الجامع في الأدب العربي والأدب الحديث، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986، ص335.

¹¹⁶ المرجع نفسه، ص338.

شعبه عندما تولى منصب وزارة المعارف ونادى بمبدئه المشهور "التعليم إجباري كالماء والهواء".

ولد طه حسين سنة 1889 بمحافظة مغاغة في مصر العليا وتوفي في 28 تشرين الأول (أكتوبر) سنة 1973 عن عمر يناهز الرابعة والثمانين، وكان ذلك بعد يوم واحد من نيله جائزة الأمم المتحدة "لأبرز المنجزات" في حلق حقوق الإنسان.¹¹⁷

فقد بصره وهو في نحو الثالثة من عمره، ومع ذلك فقد انكب على العلم دراسة وتحصيلا وبرز في دراسته الأكاديمية ونال أعلى الدرجات العلمية، كان له في بلاده وفي أوروبا أعظم الأثر، ففي سنة 1902 دخل الأزهر وكان أزهريا معما يكره الأزهر ويثور على تقاليدته وتخلفه وضيق آفاقه، وفي سنة 1912 التحق بالجامعة المصرية للدراسة المدنية فنال فيها الدكتوراه الأولى في الأدب سنة 1914 على رسالته "تجديد ذكرى أبي العلاء"، وكان الفرح عاما بين الشباب الجديد لهذا الأزهرى الناجح، ولا سيما وقد أوفدته الجامعة ببعثة إلى السربون حيث نال الدكتوراه الثانية في الفلسفة وعلى رسالته "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" كما نال شهادة الدراسة العليا في التاريخ، وما عم هذا الفتى الضرير أن اتخذ مكانا أماميا فوريا مستقبليا في الأدب والفكر العربيين، وفي سنة 1925 عين أستاذ الأدب العربي للجامعة المصرية، وقد درس فضلا عن الأدب، التاريخ والفلسفة والتربية، وفي سنة 1930 أنتدب عميدا لكلية الآداب في تلك الجامعة نفسها، وكان من العناصر الأساسية التي أسهمت في تأسيس جامعة الإسكندرية وقد أصبح في سنة 1943 أول مديرا لها، وفي 1950 أخيرا وزيرا للتعليم، وفي سنة 1951 منحته "ترينتي" بجامعة أكسفورد بانجلترا درجة الدكتوراه الفخرية في الآداب وبعد سنة 1952 اعتزل طه حسين العمل لرسمي ومع ذلك فقد منحته الدولة ينة 1958 جائزتها التقديرية للآداب، بدا حياته الصحافية سنة 1910 في

¹¹⁷ حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي والأدب الحديث، ص329.

"الجريدة"، وفي سنة 1933 تفرغ للصحافة في جريدة "كوكب الشرق" وكان في الخمسينات واحدا من رؤساء تحرير صحافة الجمهورية.

وفي سنة 1917 تزوج فرنسية تدعى "سوزان" وأنجب منها السيدة أمينة حرم الدكتور محمد محسن الزيات مؤسس الذي كان يعمل في منظمة اليونسكو بباريس.¹¹⁸

مؤلفاته وآثاره:

توفي طه حسين وترك وراءه عددا قيما من المؤلفات كان إلى زمن غير بعيد شغل العالم العربي الشاغل، وقد ترجم بعضه إلى لغات أوربية مختلفة، وتنافست دور النشر في الحصول على شيء منه، إلا أن طه حسين أراد قبيل وفاته، أن يتناول حقوق نشر تركته الفكرية والأدبية كلها بدار الكتاب اللبناني في بيروت، فقامت تلك الدار بنشرها كاملة في تسعة عشر مجلد وذلك ما بين سنتي 1973-1974.

- 1- **المجلد الأول:** "الأيام" -ثلاثة أجزاء- روى فيها الكاتب سيرة حياته الأولى.
- 2- **المجلد الثاني:** "حديث الأربعاء" -ثلاثة أجزاء- عالج فيها الأدب والأدباء.
- 3- **المجلد الثالث:** "على هامش السيرة" -ثلاثة أجزاء- ضمنها صورة عرضت له في أثناء قراءته السيرة
- 4- **المجلد الرابع:** "الخلفاء الراشدون"، "الشيخان أبو بكر وعمر"، "الفتنة الكبرى" (عثمان بن عفان).
- 5- **المجلد الخامس:** الأدب والنقد: "في النقد الجاهلي" و"فصول الأدب والنقد من حديث الشعر والنثر".

¹¹⁸ حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص337.

- 6- **المجلد السادس:** الأدب والنقد: "مع المتنبي"، "ألوان"، والجدير بالذكر أن الكتاب "في الشعر الجاهلي" طبع في القاهرة سنة 1926 ثم طبع بعنوان "في الأدب الجاهلي" سنة 1927.
- 7- **المجلد السابع:** إسلاميات: "الوعد الحق" و"مرآة الإسلام"¹¹⁹
- 8- **المجلد الثامن:** علم الاجتماع: "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" و"قادة الفكر" و"نظام الاثنين".
- 9- **المجلد التاسع:** علم التربية: "مستقبل الثقافة في مصر" -جزآن-.
- 10- **المجلد العاشر:** أبو العلاء المعري: "تجديد ذكرى أبي العلاء" 1915 وهي الرسالة التي قدمها في الجامعة لنيل الدكتوراه، و"مع أبي العلاء في سجنه" و"صوت أبي العلاء".
- 11- **المجلد الحادي عشر:** علم الأدب: "نفوس للبيع" و"لحظات" و"جنة الشوك" و"خصام ونقد".
- 12- **المجلد الثاني عشر:** علم الأدب: "من بعيد من أدبنا المعاصر" و"حافظ وشوقي" و"أديب" و"أحاديث".
- 13- **المجلد الثالث عشر:** القصص والروايات: "الحب الضائع" و"دعاء الكروان" و"شجرة البؤس" و"جنة الحيوان".
- 14- **المجلد الرابع عشر:** القصص والروايات: "القصر المسحور" و"رحلة الربيع والصيف" و"من لغو الصيف إلى جد الشتاء" و"بين بين" و"أحلام شهرزاد".
- 15- **المجلد الخامس عشر:** الأدب التمثيلي: من الأدب التمثيلي اليوناني "سوفوكليس" و"اندروماك" و"القدر" و"أوديب ثيسيوس".

¹¹⁹ حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص338.

هذه مجموعة طه حسين كما نشرها دار الكتاب اللبناني وهي كما لا يخفى مضطربة في التقسيم فلا جارية على النظام التوقيتي لظهور هذه المؤلفات، ولا هي جارية بدقة على جميع المواد، وكما كنا نتمنى لو أخرجت إخراجاً علمياً، لكانت مرجعاً يعتمد عليه في الدراسة، عملاً قيماً ترتاح إليه نفس الراحل الذي أذاب العمر في خدمة العلم والأدب، والمتعلمين والمتأديبين.¹²⁰

فلسفة طه حسين:

في كتابه "قادة الفكر" يربط بين الظاهرة الأدبية، أو الاجتماعية أو الثقافية وبين البيئة مادية أو معنوية بعرض في كتابه قادة الفكر للفلسفة اليونانية وكيف أن لونها إنساني وأن بيئة اليونان بدأت شاعرة ثم بعد عاقلة على يد فلاسفتها سقراط أفلاطون وأرسطو وفي كتابه "مع المتنبي" ومن قبل "في الأدب الجاهلي"، و"في ذكرى أبي العلاء" ... إلخ.

في كل دراساته ونقده نجد الربط بين البيئة والأدب في فلسفة "طه حسين".

مؤثرات في نقد طه حسين:¹²¹

كان ثمة رواد للنقد قبل طه حسين منهم محمد دياب، حسن العدل، جورج زيدان، العقاد ... فقد تأثر بهؤلاء في نقدهم أو في درسه الأدي حياة مصر الأدبية.

ولعل "أحمد ضيف" في كتابه "مقدمة لدراسة بلاغة العرب" و"بلاغة الأندلس" قد أخ عن المستشرقين مناهج درسه الأدي.

نستطيع أن نقول أن النقد الأدبي عند طه حسين كان طابعه لغوياً أسلوبياً جمالياً فيتوقف عند القيمة اللغوية وفي مادة التعبير أو الأساليب من قبح أو جمال.¹²²

¹²⁰ حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص341.

¹²¹ مصطفى الصاوي الجويني: أبعاد في النقد الأدبي الحديث، دار المعارف، الإسكندرية، د/ط، د/ت، ص20.

¹²² مصطفى الصاوي الجويني: أبعاد في النقد الأدبي الحديث، ص23.

مقومات ثقافة طه حسين:

مقومات طه حسين يجمعها أصلان: الثقافة العربية الإسلامية بفروعها، والثقافة الأوروبية وآدابها: يونانية ولاتينية وفرنسية وكان يحسن من معارف الثقافتين العربية والأوروبية والأدب واللغة والتاريخ والاجتماع والفلسفة، وجمع بين خاصيتين امتزجتا عنده في حيوية وتدفق الدرس والإبداع تأليفاً أو ترجمة.¹²³

ولقد فتن طه حسين بالشعر، وقال فيه وظل ينشره حتى عام 1909 حين أعلن أن هذا الذي يقوله سخف كله، ومن هذا كان نقده للشعر عنيفا بداية من شكه في الشعر الجاهلي إلى قوته في نقد شوقي وحافظ، وكان يصحب معه دائما في أسفاره ديوان شعر يقيم عليه دراسته مع ذلك وأخيرا يقول في شوقي أن شوقي هو أعظم شاعر جاء بعد المتنبى وفي مجال النقد حرص طه حسين على أمرين: جمال الأسلوب وصحته الغوية تأثرا بأستاذة "المرصفي" وربط النص بالوسط الاجتماعي الخاص والعام للأديب متأثرا بمنهج "سانت بييف".

وتعددت مجالات النقد عند طه حسين: منها مجال الترجمة عن اليونانية والفرنسية والتعريف بتاريخ الآداب العربية بجورجي زيدان ونقضه لمنهجه في الدرس الأدبي الذي يجعل العصور السياسية محور للدراسة ومعالم رقي الأدب وانحطاطه.

ولكن من الحق أن نقول أن طه حسين كان مبدعا أولا في أنواع أدبية عديدة من ترجمة وقصة وروايته، وسيرة، ومقال، وإنه كان يملك ذوق الناقد المدرب وأنه طوع المناهج الغربية لطبيعة أدبنا العربي في الدرس، والنقد وإنه بهذا كله قد أتيح له ما لم يتح لمن نقده أو درسوا منهجه الأدبي.¹²⁴

¹²³ المرجع نفسه، ص24.

¹²⁴ مصطفى الصاوي الجويني: أبعاد في النقد الحديث، ص24.

أسلوبه:

وخلاصة ما يقال في أسلوبه الذي ينفرد به كثير من الكتاب والخطباء، فقد نجد كاتباً يتحدث إليك فيروك حديثه، ويروك أسلوبه، فإذا كتب ذلك الحديث فقد تلك الروعة وقد يبهرك خطيب وحين يسجل خطبته لا تجد فيها تلك الطرافة التي أعجبتك حين سمعتها، إلا الدكتور طه حسين فإن أسلوبه وهو يتحدث هو أسلوبه وهو يملئ ويكتب، هو الوحيد الذي طبقت براعة الكاتب فيه براعة المتحدث.

الأزمات التي واجهت طه حسين:

في حياة طه حسين أزمات عنيفة نال منها أذى كثير، وشهر به من جرائها، ولكنها في النهاية كان أثرها نافعا له وللقراء.

أول تلك الأزمات العاصفة التي ثارت حول كتابه "في الشعر الجاهلي" أقبلها خصومه وكان عنيفا معهم، أهاجوا عليه الأزهر والصحف الحزبية التي كان لها عليه ثارات وخصومات، وصبر لها وصمت، ولم يرد على أحد بقول، وأحيل إلى النيابة واتهم في دينه، وكان من حض الأدب أن حضي بعد هذه الأزمة بكتابه الخالد "الأيام" الجزء الأول، فقد ضاق بهذه الأزمة وما نشأ عنها وفكره الحاضر الذي كان فيه مهددا في رزقه وحياته، ففر منه أيام الطفولة، وأزمة ثانية كانت بينه وبين إسماعيل صدقي، رئيس الوزراء يوم طلب إليه وزير المعارف وكان طه عميدا لكلية الآداب أن تمنح الكلية أو مجلس العمادة لقب "الدكتوراه" لعدد من الوزراء، فرفض طه حسين الطلب وأصر على الرفض حفاظا على كرامة الكلية كي لا تمتن ألقابها وتبتدل، وفصل من الكلية واحتمل الأذى واحترف الصحافة، وقد نشأ من هذه الأزمة أن أثمرت كتابه "على هامش السيرة"

والأزمة الثالثة حدثت بينه وبين "الشيخ المراعي"، وحمد محمود رئيس الوزراء، بحسب تعادل الشهادات، ونشأ عن هذه الأزمة استقالته من العمادة ثم إملء الجزء الثاني من كتابه الأيام.

يوم ساءت أحوال مصر وأمسى الحكم فيها قاسيا وغدت الصراحة تقضي لإحالة على القضاء كتب كتابه الثوري "المعذبون في الأرض" وتلاه بكتابي "جنة الشوك" و"جنة الحيوان" وهي كتب أسلوبها رمزي ما اعتاد طه حسين في كتبه ومقالاته في أسلوبه الواضح الصريح.¹²⁵

وليس كتب التي كتب في الإسلام بدءا وامتداد من "الفتنة الكبرى" "الشيخان" و"على هامش السيرة" و"مرآة الإسلام"، إلا ردا على خصومه الذين اتهموه في عقيدته، وفي هذه الكتب تجلت واضحة غيرته على الإسلام ودلت على عمق ثقافته الإسلامية وصدق إيمانه والله أعلم بمن اهتدى.¹²⁶

أساتذته:

أول أستاذ لطفه حسين، كان الشيخ "محمد جاد الرب"، الذي علمه مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وتلاوة القرآن الكريم في الكتاب الذي كان يديره "بمغاغة" في عزبة الكيلو، وفي الأزهر تلقى العلم على يد عدد من الأساتذة والمشايخ أبرزهم الشيخ المرصفي، والشيخ محمد بخيت، والشيخ عطاء والشيخ محمد عبده، وقد أعجب ببادئ الأمر كثيرا بآراء هذا الأخير واتخذه مثالا في الثورة على القديم، والتحرر من التقاليد، وفي الجامعة المصرية تتلمذ على يد كل من أحمد زكي في دروس الحضارة الإسلامية، أحمد كمال باشا، في الحضارة المصرية القديمة، والمستشرق جويدي في التاريخ والجغرافيا، أما في في الفلك فتتلمذ على يد كرانيك نالنو، وفي اللغات السامية القديمة على يد المستشرق "ليتمان"، وفي الفلسفة

¹²⁵ مصطفى الصاوي الجويني: أبعاد في النقد الحديث، ص734.

¹²⁶ المرجع نفسه، ص735.

الإسلامية على يد "سانت لانا"، وفي تاريخ الحضارة المشرقية القديمة على يد "ميلوني"،
والفلسفة على يد "ماسينوس"، والأدب الفرنسي على يد "كليمانت".¹²⁷

وفاته:

وفي الثامن والعشرين من شهر نوفمبر من عام 1973 وضع الموت حداً ونهاية لهذا
الأديب العبقرى، والناقد اللوذعى، فانتهدت بموته حقبة من أغنى الحقب الأدبية والعلمية في
تاريخ مصر وتاريخ العالم العربى.¹²⁸

¹²⁷ يحيى الشامى: أعلام الفكر العربى، طه حسين أديبا وناقدا، دار الفكر العربى، بيروت، ط1، د/ت، ص13.

¹²⁸ المرجع نفسه، ص14.

فهرس

الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ-ت	تشكرات مقدمة
	<u>المدخل: النقد في عصر النهضة.</u>
05	1- نشأة النقد العربي الحديث.
11	2- مدرسة الأحياء.
14	3- مدرسة أبولو.
17	4- مدرسة الديوان.
	<u>الفصل الأول: التنظير النقدي عند طه حسين.</u>
24	1- نظرة طه حسين إلى النقد والنقاد.
27	2- منهج طه حسين في النقد والدراسة الأدبية.
37	3- معايير النقد عند طه حسين.
37	أ) المجتمع والبيئة.
38	ب) طه حسين وصدق في التعبير.
40	ج) اتجاهاته الجمالي الذوقي في النقد.
42	د) الأسلوب أو المعيار البياني.
44	هـ) حرية الأديب.
45	و) الخيال.
46	ي) النزعة التأثيرية.
48	ز) معارضة المنهج التحليل النفسي في النقد.
	<u>الفصل الثاني: أهم القضايا التي تناولها طه حسين، كتاب في</u>
	<u>الشعر الجاهلي</u>
52	أولاً: وصف المدونة شكلاً ومضموناً.
52	1- سيميائية الغلاف الخارجي.
52	2- المدونة من الداخل.
54	3- خطة الكتاب.

55	ثانيا: أهم القضايا التي عالجها الكتاب.
55	1- الانتحال عند طه حسين.
57	2- أسباب الانتحال عند طه حسين.
57	أ) السياسة وانتحال الشعر.
59	ب) الدين وانتحال الشعر.
61	ج) القصص وانتحال الشعر.
63	د) الشعوبية وانتحال الشعر.
67	3- بعض الشعراء الذين شك في شعرهم.
67	أ) امرئ بن القيس.
70	ب) عبيد بن الأبرص.
71	ج) عمر بن قميئة.
72	د) مهلهل بن ربيعة.
73	هـ) عمر بن كلثوم.
75	و) طرفة بن العبد.
76	ي) المتلمس.
79	خاتمة.
	الملاحق.
	قائمة المصادر والمراجع.
	الفهرس.

ملخص:

يعالج الموضوع الرؤية النقدية عند طه حسين في كتاب "في الشعر الجاهلي" ، حيث تطرق فيه إلى قضية الانتحال في الشعر العربي الذي يعد من أبرز القضايا التي طرحت في كتب النقد الأدبي العربي الحديث.

وقد عبر طه حسين عن قضية الانتحال في كتاب "في الشعر الجاهلي"، ويرى أن الكثرة المطلقة بما نسميه أدا جاهليا ليس من الجاهلية في شيء، وإنما هي مخولة بعد مرور الإسلام، وذكر الأسباب التي دفعته إلى الشك في الشعر الجاهلي منها أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الجاهلية الدينية والعقلية والسياسية، ولا يصور اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه. ثم تحدث بعد ذلك عن أسباب الانتحال، فذكر منها الأسباب السياسية والدينية والشعبية والرواة وغيرها.

وفي الأخير استعرضنا بعض الشعراء الذي شك طه حسين في شعرهم منهم شعراء الغزل في الشعر الأموي وشعراء المجون في العصر العباسي، وقد استنبط طه حسين حياة الأدباء مما يحيط بهم من المؤثرات وربطها بإنتاجهم الأدبي.

الشعر

النقد

الرؤية

الكلمات المفتاحية:

Abstract:

The subject addresses the critical vision of Taha Hussein in the book "In the Pre-Islamic Poetry", in which they discussed the issue of plagiarism in Arabic poetry, which is one of the most prominent issues raised in the books of modern literary criticism.

Taha Hussein expressed the issue of plagiarism in the book "In the Pre-Islamic Poetry", and believes that the absolute abundance of what we call the ignorant literature is not ignorance in anything, but it is authorized after the passage of Islam, and cited the reasons that led to doubt in the pre-Islamic poetry that pre-Islamic poetry does not Represents the life of ignorance, religious, mental and political, and does not portray the Arabic language in the era that the narrators claim that it was said.

Then he spoke about the causes of plagiarism, citing political, religious, populist, narrator and other reasons.

In the latter we reviewed some of the poets who doubt Taha Hussein in their poetries, poets of spinning in the poetry of the Umayyad poets and madness in the Abbasid era, and Taha Hussein invented the lives of writers surrounding their influences and linked to their literary production

key words:

Vision

Critic

Poetry